أثر إدمان مشاهدة التلفزيون على نمو شخصية الطفل وكفاءاته المختلفة (دراسة ميدانية على عيّنة من أمهات أطفال مرحلة ما قبل المدرسة بمدينة ود مدني السودانية)[1]

Doi:10.29343/1-96-4

د. إخلاص محمد عبد الرحمن حاج موسى
أستاذ علم النفس الصحي المشارك
عميد كلية علم النفس التطبيقي– جامعة ود مدني الأهلية – ولاية الجزيرة – السودان

الملخص:

الهدف من هذه الدراسة هو التعرف على مستوى إدمان أطفال التعليم قبل المدرسي الذين يشاهدون قنوات الأطفال التلفزيونية العربية، في ظل الكشف عن الفروق في درجة الإدمان من وجهة نظر الأمهات تبعًا لمتغيرَي: الميل لتقليد أبطال البرامج المفضلة، والميل للعزلة والعيش في عالم خيالي. وقد اتبعت الباحثة المنهجَ الوصفي التحليلي، واستخدمت مقياس الإدمان الإلكتروني لصاحبه سيد يوسف (2011) ، الذي وزِّعَ عبر وسائل التواصل الاجتماعي على عيّنة بلغت 176 من الأمهات. وباستخدام برنامج الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) في معالجة البيانات، تم التوصل إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الإدمان على مشاهدة التلفاز بين أطفال ما قبل المدرسة تبعًا لمتغيّرَي: الميل لتقليد أبطال البرامج المفضلة والميل للعزلة والعيش في عالم خيالي وقد خرج البحث بمجموعة من التوصيات هي:

1. ضرورة رفع الوعي الأسري والمجتمعي تجاه أخطار الإدمان على قنوات الأطفال الفضائية.
2. تحديد ساعات للمشاهدة بحضور الوالدين.
3. تضمين تأثير الإدمان التلفزيوني على التطور والنمو الطبيعي للأطفال ضمن المقررات الدراسية بمختلف المراحل.
4. رفع الوعي الأسري بأهمية تنوع أنشطة الطفل.

الكلمات المفتاحية: الإدمان التلفزيوني – قنوات الأطفال التلفزيونية العربية – أمهات أطفال التعليم ما قبل المدرسي.

[1] سُلِّم البحثُ في سبتمبر 2020 وأجيز للنشر في ديسمبر 2020

The effect of TV addiction on the development of the child's personality and his various competencies (A Field study on a sample of mothers of pre-school children in wad medani , Sudan)

Ikhlass Mohammed Abdelrhman Hajmusa,
Associate Professor of Health Psychology
Dean of faculty of Applied Psychology at Medani Ahllia University-Gezira State-Sudan

Abstract:

The aim of the study was to identify the level of addiction of pre-school children who watch Arab children's TV channels, in light of revealing the differences in the degree of addiction from the viewpoint of mothers according to two variables: the tendency to imitate the heroes of the favorite programs, and the tendency to isolate themselves and live in a fantasy world. The researcher followed the descriptive and analytical approach, and used the Electronic Addiction Scale of Sayed Youssef, which was distributed via social media to a sample of 176 mothers. Statistical Package for the Social Sciences program (SPSS) in data processing, was used. The follwing results were reached:- The level of addiction has clearly increased among the sample members;- There were statistically significant differences in the level of addiction to watching TV among preschool children according to two variables: the tendency to imitate the heroes of the favorite programs, and the tendency to isolate themselves and live in an fantasy world. The paper came out with the following recommendations:

1. The need to raise family and community awareness of the dangers of addiction to children's satellite channels;
2. Hours for viewing should be in the presence of the parents;
3. Include the effect of TV addiction on the normal development and growth of children within the curricula of various stages ;
4. Raising family awareness to the importance of diversifying the child's activities.

Keywards: TV addiction - Kids Arab channels - Mothers of pr-school children

المقدمة:

تعد مرحلة الطفولة الركيزةَ الأساسيةَ في حياة الفرد، ففيها توضع اللبنات الأساسية التي تسهم في تشكيل شخصية الطفل بمختلف اتجاهاتها النفسية ومهاراتها الاجتماعية، وفي تكوين الشخصية الراشدة المتوافقة. ويعتمد تطور نمو الطفل من النواحي المعرفية والانفعالية والاجتماعية على شخصية الوالدين إلى حد كبير لأنها تقدم له النموذج الذي يعتمد عليه في عمليتي التعلم والتكيف (حاج موسى، 2014). فالطفولة المبكرة إذن هي أهم مراحل العمر وأكثرها تأثيرًا في حياة الفرد ففي هذه المرحلة تتشكل الشخصية وتبنى أهمُّ ملامحها، كما يتحدد خلالها مسار النمو الجسمي والعقلي والانفعالي والاجتماعي واللغوي للطفل تبعًا لما يتوفر له من خبرات وما يتعرض له من مواقف في البيئة الخارجية، ومن خلال عملية التنشئة الاجتماعية تقوم الأسرة بعملية التطبيع الاجتماعي وتعليم الطفل السلوك المقبول اجتماعيًّا وثقافيًّا وإكسابه العادات واللغة والقيم التي تتسق مع مجتمعه من خلال التلقين والمحاكاة والتماهي مع الأنماط العقلية والأخلاقية والعاطفية (جرار، 2016).

خلال سنوات ما قبل المدرسة التي تقع في مرحلة الطفولة المبكرة (من 2 – 6 سنوات) ينمي الطفلُ بعضَ الاستقلال واستكشاف أنماط جديدة من اللعب، هذا فضلًا عن حاجته إلى تعلم كيفية اتخاذ القرارات والمبادرات بنفسه وفق طرائق وأساليب مقبولة اجتماعيًّا. وتشير (داود، رفسي،2019) إلى أن هذه المرحلة تتميز باستمرار النمو الجسدي والنفسي وبتطور الوظائف الحسية والحركية تدريجيًّا. فأثناءها يتمتع الطفل بقدرته الكبيرة على محاكاة وتقليد ما يراه من تصرفات المحيطين به، وخلالها تبدأ مدركاته في استخدام اللغة الرمزية والكلمات والتعبير عن أفكاره المختلفة. وبهذا المعنى فإن آثار هذه المرحلة تمتد لتشمل مختلفَ المراحل اللاحقة لحياة الإنسان، وذلك بفعل ما تنفرد به من حيوية بخصوص نمو الطفل وتطور قدرته على التعلم في فترة قصيرة وبشكل مكثف، فالسنوات الأولى وبالأخص الثلاث منها، تحظى بأهمية كبرى نظرًا لأن التأثيرات المترتبة على الرعاية والاهتمام اللذين يتلقاهما الطفلُ خلالها تستمر طوال حياته، لذا فإن تشجيع الأطفال على الاستكشاف واللعب يساعدهم على التعلم وتنمية قدراتهم الاجتماعية والعاطفية والبدنية والثقافية، فعملية اللعب هي تجربة تعليمية متعددة الأوجه بما تشمله من استكشافات وخبرات لغوية، ومن توسيع المدارك وتنمية المهارات الاجتماعية، فالأطفال عادة ما يكتسبون السلوك الاجتماعي عن طريق محاكاة أقرب الناس إليهم. (يونسيف، التعليم المبكر).

مشكلة الدراسة:

تعدُّ مرحلةُ الطفولة المبكرة من أهم المراحل في حياة الفرد بحيث يبدأ الطفلُ خلالها باكتساب ملامح وسمات شخصيته من خلال عملية التنشئة الاجتماعية التي تمثل فيها الأسرةُ حجرَ الزاوية، ومن ثم يأتي دور الوسائط الإعلامية التي باتت تلعب دورًا بارزًا يشكّل تهديدًا في كثير من الأحيان لما تبذله الأسرةُ من مجهودات في هذا المجال. فالوسائط الإعلامية عمومًا، والتلفاز على وجه الخصوص، يمتلك خاصية شدِّ انتباه الصغار لما له من إمكانات مخاطبة الأطفال بالصورة والصوت والحركة والألوان في قوالب فنية جاذبة، إلى جانب اللغة التعبيرية والموسيقا والغناء التي تستهوي أغلبهم، مما يجعل منه – متى أحسنَ استخدامُه – أحدَ الوسائل التي يمكنها أن تسهم بقوة في إكساب الطفلِ كثيرًا من الملكات والسلوكيات الإيجابية، فمشاهدة الطفل للتلفاز ضمن توجيهات الأهل يتيح له بالتأكيد التعرفَ على عوالم وثقافات مختلفة، ويرسخ لديه القيم والسلوكيات الإيجابية، فضلًا عن تمكينه من كثير من المهارات اللغوية والعلمية، وإكسابه بعضَ الخبرات والمعارف والأفكار العلمية والاهتمامات التكنولوجية.

لكن في المقابل، فإن الإفراط في مشاهدة قنوات التلفاز دون رقابة أو توجيه أو تقنين من الأهل، غالبًا ما يقود الطفلَ إلى حالة من الاعتياد والإدمان على هذه القنوات، إلى درجة عدم القدرة على تركها، فالإفراط في ساعات المشاهدة بحيث يصبح هو الهم الشاغل للطفل، وفي غياب لأي توجيه أو إرشاد من الأسرة، يلقي بظلاله وآثاره السلبية على نمو الطفل السوي في مختلف مناحي الحياة، النفسية والاجتماعية والثقافية والنمائية. وهذا يؤدي إلى حرمانه من ممارسة أنواع مختلفة من النشاطات أكثر أهمية وفعالية، إلى جانب الأثر الواضح في خلل العلاقة بينه وبين أسرته، وبالخصوص على صعيد تقليص فرص التفاعل المباشر مع والديه وإخوته. إضافة إلى أن

مشاهدة العنف في التلفزيون تؤثر على سلوكيات الطفل، وتزيد من احتمالية اكتسابه للسلوك العنيف عبر تقليد ما يشاهده، أو قد تتسبب لديه في المخاوف وعدم الشعور بالأمان، والعزلة عن الأقران، وضعف التواصل الاجتماعي، وتفاقم الاستغراق في عالم غير واقعي يحاول فيه أن يتقمص طريقة كلام وسلوك أبطال البرامج المفضلة، هذا فضلًا عن المخاطر المتوقعة على النمو الطبيعي للدماغ، وعلى اكتساب اللغة. وفي ظل إجراءات الحجْر المنزلي والتدابير الوقائية لمواجهة فيروس كورونا والذي جُمِّدَ على أثره العملُ والأنشطة بكل مؤسسات التعليم العام والعالي بما فيها رياض الأطفال، ودخلت في إجازة طويلة فاقت الستة أشهر (من فبراير– سبتمبر) تاريخ هذه الدراسة، أصبحت الخيارات المتاحة أمام الطفل وأسرته محدودة للغاية، تكاد لا تتعدى جدران المنزل، الأمر الذي يُسهم إلى حد كبير في زيادة عدد ساعات المشاهدة. فالطفل لا يستطيع مخالطةَ رفاقه وممارسة اللعب الجماعي، كما لا يمكنه ممارسة أي من الأنشطة خارج نطاق منزله مما يجعله أسيرًا للتلفاز معظمَ وقته، إلى جانب عدم الوعي الأسري الكافي بما يتعلق بضوابط التعامل مع مشاهدته للتلفاز في مراحل الطفولة؛ إذ إن كثيرًا من الأُسر تتعامل مع هذا الأمر بكثير من الإهمال واللامبالاة غير المتعمَّدَيْن، بل هي تعتقد أن وجودَ الطفل طوالَ الوقت في مواجهة التلفاز يمكن أن يضيفَ إليه الكثير، كما سيُجنبها مشقةَ متابعته والإشراف عليه طوال الوقت. لقد ظل الطفل السوداني يعاني كثيرًا من الأوضاع الاقتصادية المتردية في ظل الحكومات المتعاقبة، الشيء الذي انعكس سلبًا على كل مجالات الحياة المتمثلة في قصور الخدمات الموجهة إليه، وبالخصوص على صعيد فقر البيئة التعليمية، وتقليدية المناهج الدراسية والمواد الثقافية التي نادرًا ما تُساير العصرَ الحالي. والأكيد أن برامج الأطفال التي تبثها القنواتُ التلفزيونية المحلية تتسم بالرتابة والجمود وعدم الاحترافية في تصميمها وتنفيذها في كثير من الأحيان، لذا فهي لم تفلح في جذب انتباهه، حيث هجرَها إلى القنوات الفضائية العربية المتخصصة، والتي تقدم برامجَها في قوالب جاذبة لانتباهه واهتمامه. ففي ظل غياب وسائل الترفيه ومنافذ النشاط الأخرى، أصبح الطفل يقضي جُلَّ يومه متنقلًا بين القنوات المختلفة التي تحمل في طياتها كثيرًا من المواد والرسائل الموجهة إلى ثقافات قد لا تتسق مع منظومة القيم والمعايير الثقافية السائدة في المجتمع السوداني. وعليه تأتي هذه الدراسة لإلقاء الضوء على الآثار الناجمة عن الإفراط في مشاهدة التلفاز وعلاقته ببعض المتغيرات لدى أطفال مرحلة ما قبل المدرسة من وجهة نظر الأمهات بمدينة ودمدني. وذلك من خلال الإجابة عن التساؤل الرئيس للدراسة: ما مستوى إدمان أطفال ما قبل المدرسة على مشاهدة القنوات الفضائية من وجهة نظر الأمهات؟ والذي يتفرع عنه السؤال الأساسي التالي: هل توجد علاقة دالة بين مستوى إدمان أطفال ما قبل المدرسة على مشاهدة القنوات الفضائية ومتغيّرَي: الميل لتقليد أبطال البرامج المفضلة، وميل الطفل للعيش في عالم خيالي؟

أهمية الدراسة:

بالرغم من أن اهتمام العالم في عصر العولمة ينصبُّ على كيفية الاستفادة من العالَم الرقمي وإجراء البحوث والدراسات التي تهدف لإثراء مهارات وخبرات الأطفال في هذا المجال، إلا أن الحال في معظم الدول النامية _ومن بينها السودان_ يختلف تمامًا. فواقع الطفل السوداني يختلف كثيرًا عن أقرانه في معظم الدول العربية، إذ تعاني البلاد من ضوائق اقتصادية خانقة ومن تدني معدل دخْل الفرد، إضافة إلى ارتفاع تكلفة خدمات الإنترنت مما يجعل إمكانية تداولها بين أطفال ما قبل المدرسة لا يتساوق مع الواقع المَعيش. فالتواصل الرقمي والإدمان الإلكتروني يعني امتلاكَ الطفل في هذه المرحلة من عمره هاتفاً أو جهازَ كمبيوتر أو حاسوبًا محمولًا أو غيرها من الأجهزة، والتي يمكن ألا تكون متاحة حتى لأمهات معظم الأطفال. وعليه فإن الانغماسَ في مشاهدة القنوات الفضائية العربية لا يزال يمثل الظاهرةَ الأكثرَ شيوعًا بين أطفال هذه المرحلة.

تتلخص أهميةُ هذه الدراسة في التناول بالبحث والتقصي لشريحة عمرية مهمة في مرحلة حاسمة تمثل مرتكزًا أساسيًّا لصقل وبناء وتشكيل نمط وسمات شخصية الفرد. وذلك من أجل تحقيق الغايات التالية:

- توعية الأمهات السودانيات بالدور الإيجابي الذي يمكن أن يلعبه التلفزيون في تنمية مهارات وقدرات الطفل في مرحلة ما قبل التمدرس، وبالخصوص إذا ما تم التعاملُ معه وفقَ الضوابط والأسس التي تقلل من حجم الآثار السلبية التي قد تتولد عن إفراطه في ساعات المشاهدة.

ـ توفير نتائج ومعطيات علمية وعملية يمكن للمختصين في علوم النفس والتربية والاجتماع والتوجيه والإرشاد الأسري والمجتمعي الاستفادة منها لوضع البرامج التدخلية التي تستهدف رفعَ الوعي بين الأمهات السودانيات بالآثار النفسية والاجتماعية والصحية والثقافية الناجمة عن إفراط الأطفال في مشاهدة التلفاز.

ـ إسهام الباحثة من خلال هذه الدراسة في مجال البحوث الخاصة بعلاقة الطفل بالإعلام في رفع الوعي المجتمعي تجاه الدور الذي يلعبه التلفاز ومدى تأثيره على القيم والمعايير والهوية الثقافية لأطفال هذه المرحلة.

أهداف الدراسة:

الهدف الرئيس:

التعرف على مستوى إدمان أطفال ما قبل المدرسة على مشاهدة القنوات الفضائية من وجهة نظر الأمهات.

الأهداف الفرعية:

1. التعرف على العلاقة بين مستوى إدمان أطفال ما قبل المدرسة على مشاهدة القنوات الفضائية من وجهة نظر الأمهات تبعًا لميل الطفل لتقليد لغة وسلوك الأبطال.
2. التعرف على العلاقة بين مستوى إدمان أطفال ما قبل المدرسة على مشاهدة القنوات الفضائية من وجهة نظر الأمهات تبعًا لميل الطفل للاستغراق في عالَم الخيال.

منهج الدراسة:

استخدمت الباحثةُ في هذه الدراسة المنهجَ الوصفي التحليلي لتَناسبه ومواءمته مع طبيعة الظاهرة المبحوثة التي اعتُمِدَ في معالجة بياناتها وتحليل وتفسير معطياتها على الأساليب الإحصائية الكمية الوصفية والكيفية الاستدلاليَة.

فرضيات الدراسة:

1. يتميز مستوى إدمان أطفال ما قبل المدرسة على مشاهدة القنوات الفضائية من وجهة نظر الأمهات بالارتفاع الدال.
2. توجد علاقة دالة بين مستوى إدمان أطفال ما قبل المدرسة على مشاهدة القنوات الفضائية وميلهم لتقليد أبطال البرامج المفضلة.
3. توجد علاقة دالة بين مستوى إدمان أطفال ما قبل المدرسة على مشاهدة القنوات الفضائية وميلهم للعزلة والعيش في عالم خيالي.

حدود الدراسة:

تمثلت الحدود المكانية للدراسة الحالية، في رياض الأطفال الخاصة والتابعة لمؤسسات تعليمية بمنطقة ودمدني شرق، ولاية الجزيرة. أما الحدود الزمانية فتمثلت في الفترة من يونيو– أغسطس 2020، بينما مثلت أمهات الأطفال في مرحلة ما قبل المدرسة والمنتمين للرياض الخاصة التابعة لمؤسسات تعليمية بمنطقة مدني شرق، الحدود البشرية لهذه الدراسة.

مصطلحات الدراسة:

تعرِّف الباحثةُ إدمانَ الأطفال على مشاهدة التلفاز بأنه الإفراط في ساعات المشاهدة للبرامج المخصصة لهم، والذي يقود بدوره إلى حالة من الاعتياد والإدمان إلى درجة عدم القدرة على تركها والانخراط في أنشطة هادفة أخرى، مما يلقي بظلاله السالبة على مظاهر النمو السوي والمتوازن للطفل. ويُعرَّف إجرائيًّا بالدرجة التي تحصل عليها الأمهاتُ بعد استجابتهن للمقياس.

فضائيات الأطفال التلفزيونية:

تتمثل وسائل الاتصال الثقافي لدى الأطفال في المجلات والإذاعة والتلفزيون والسينما. ويعدُّ التلفزيون أفضلَ الأدوات لطريقة الاتصال الثقافي؛ إذ إن قدرته على تجسيد المضمون الثقافي بفضل إمكاناته في عرْض المشاهد الواقعية والخيالية وعلى توضيح الأحداث والمواقف، تجعل منه وسيلةً بالغة التأثير في الطفل عبر ما تنقله وما تقدمه من معلومات وخبرات في صورة واضحة. لذلك ينبغي أن يُرَكَّزَ في إعداد البرامج على المواد والأنشطة التي تستهدف تطورَ الطفل على المستوى الثقافي والتربوي والاجتماعي والعمل على بناء شخصيته (عباس ،1997). وتبعًا لما أورده كولكي ليميش (2011)، فإن التأثيرَ الإيجابي أو السلبي لوسائل الإعلام الموجَّه للأطفال يعتمد على المحتوى الذي نضعه فيه، فالبرامج التلفزيونية تقنيات يمكن استخدامها بطرائق تدعم مهارات التعلم، وتشجّع أطفالَ الروضة على الاستعداد للمدرسة، وتُثري حياةَ الأطفال، وتغيّر السلوكيات غير الصحية، وتحفّز الخيالَ والإبداع، إذا وُجِّهَتْ بالشكل الذي يتناسب مع عمر الطفل واحتياجاته. وعليه ينبغي أن تصممَ البرامجُ التي تخاطب الأطفالَ وفقًا للمبادئ التي يوضحها الشكلُ التالي:

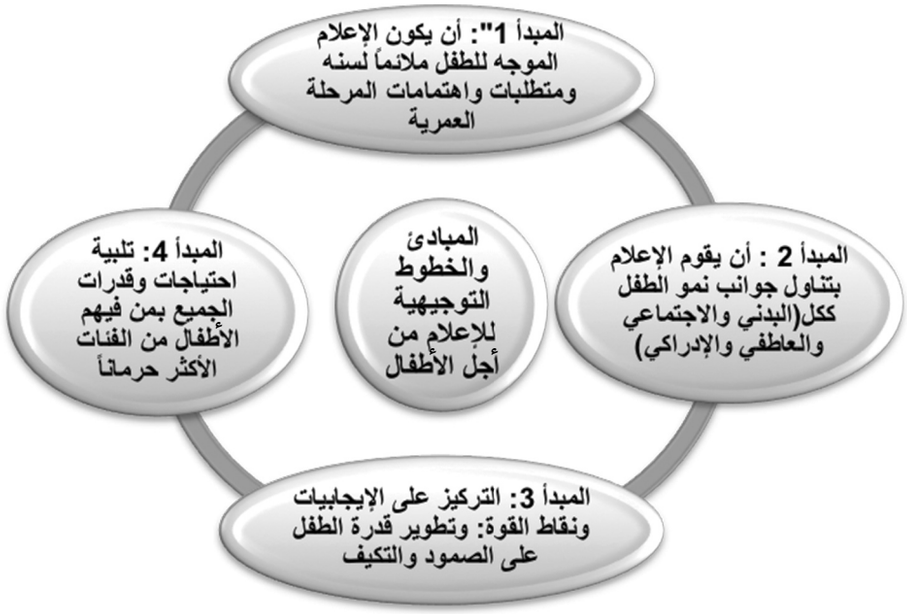

شكل (1) يوضح المبادئ التوجيهية للإعلام من أجل الأطفال

يُعرَّف التلفزيون بأنه مؤسسة اجتماعية مكونة من مجموعة من المصالح الإدارية والتقنية التي تضمن بثَّ البرامج الإعلامية المصوَّرة بطريقة استخدام التقنيات الحديثة. وتكمن أهميةُ التلفزيون في اتساع رقعة انتشاره ونوعية وكمية إنتاجه وإرساله ومتابعته، كما أنه يؤدي دورًا مهمًّا في عملية النمو الاجتماعي واللغوي، من خلال التأثير في القناعات والتصورات والعقائد، وفي اللغة والسلوك والاتجاهات، وهو بهذا يؤدي دورًا مهمًّا في عملية تنشئة الفرد وتنميته سلوكيًّا واجتماعيًّا وثقافيًّا وفق ما يناسب مجتمعَه وتراثَه (مالك،2012). ومن المعلوم أن التلفزيون باعتباره أحدَ وسائل الاتصال قد تطور من البث باللونين الأسود والأبيض إلى البث الملون، مما خلق مساحات أكبر

في التأثير على المستقبلين، إلى جانب تطوره مع تقدم التكنولوجيا وانتشار الأقمار الصناعية إلى محطة بث فضائية عالمية (عطوان، 2011). وقد سيطر التلفزيون على ميدان الاتصال الجماهيري بسبب الصورة المتحركة الناطقة التي يقدمها للأفراد في المجالات الاجتماعية والتربوية والثقافية والترفيهية، بحيث إن قدرته على نقل الصور الصوتية المتحركة إلى المجتمعات المختلفة بواسطة التقنيات الحديثة مثل الأقمار الصناعية يجعل تأثيرَه يمتد إلى جميع الفئات العمرية بما فيها الأطفال (محمد، 2002).

أما برامج الأطفال التلفزيونية التي يُقصَد بها في العادة تلك المواد المحمَّلة بمضامين وقيم إنسانية اجتماعية وتربوية وسلوكية ودينية، وتتخذ أشكالَ أفلام الرسوم المتحركة، البرامج التعليمية، مسلسلات الأطفال، والبرامج التثقيفية والترفيهية (شيكرام، وآخرون،2020)، فقد ذهبنا إلى تعريفها بأنها «كل ما يقدَّم للأطفال عبر التلفزيون من مواد أو برامج سواء كانت في شكل أغاني، أفلام، برامج ثقافية أو علمية تراعي متطلباتهم واحتياجاتهم».

يشكّل الأطفالُ الذين لم يبلغوا بعدُ سنَّ التمدرس أكبرَ شريحة تقضي أكبرَ عدد ممكن من الساعات في مشاهدة التلفزيون، مقارنة مع أي مجموعة عمرية أخرى في أمريكا، وهكذا فإن دراسات كثيرة تشير إلى أن فئة الأطفال المتراوحة أعمارهم ما بين 2–5 سنوات تقضي في المتوسط حوالي 22.9 ساعة أسبوعيًّا في مشاهدة التلفزيون (تقرير نيلسون عام 1993). وأكثر من هذا فإن دراسات مسحية أخرى بينت أن هناك أوقات مشاهدة أطول تصل إلى 54 ساعة أسبوعيًّا لأطفال لم يلجوا بعدُ المدرسةَ، إذ يمضون أكثر من ثلث ساعات يقظتهم في مشاهدة التلفاز (وين، الصبحي 1999).

ويرى فريقٌ من المهتمين في مجال الطفولة أن مشاهدةَ التلفزيون لا يطرح أيَّ مشكل، بل يمكنه أن يشكّل أداةً فعالة لبناء القيم وتنمية المهارات، وبالخصوص متى تم النجاح في انتقاء واعتماد البرامج المناسبة الجيدة. فكلما أُحسنَ استخدامُه شكَّلَ أداةً تُسهم كثيرًا في نمو الأطفال النفسي والعقلي، وتدعم عملية التنشئة الاجتماعية لديهم من خلال غرْس القيم الاجتماعية الإيجابية وتعزيز روح الانتماء الوطني والقومي، وزيادة الثروة اللغوية والإسهام في تكوين الشخصية (محمد،2014).

كما جاء في تقرير (Michigan Medicine،2010)، أن التلفزيون يفتح عوالم جديدة للأطفال، ويمنحهم فرصة للسفر حول العالم والتعرف على الثقافات المختلفة وعلى الأفكار التي قد لا يواجهونها في مجتمعهم الخاص، إضافة للعروض التي تحمل رسائل إيجابية يمكن أن تفيدهم في التعاطي مع التقاليد والمعايير الاجتماعية والثقافة. ويسهم اختيار الوالدين للبرامج المناسبة لعمر الطفل، ومشاركته في مشاهدتها في التقليل من الآثار السلبية التي قد تنجم عن عدم قدرته على التمييز بين الواقع والخيال، وذلك عبر مناقشة المادة المعروضة والتي لا تنسجم مع قيم وثقافة الطفل المجتمعية.

كما يتعلم الأطفال بعضَ المهارات من التلفزيون التعليمي، إذ يمكن للعروض المصمَّمة جيدًا أن تكسبَهم مهارات القراءة والرياضيات وحل المشكلات والسلوك الاجتماعي، وبالخصوص أثناء حضور الوالدين، واعتماد المحتوى المناسب لفئتهم العمرية، ثم تحديد وقت الترفيه ومشاهدة الشاشة (Hill،2016).

أما الدراسات التي أجريت لمعرفة تأثير مشاهدة التلفزيون على المهارات اللغوية والمعرفية، فقد أظهرت نتائج إيجابية في الارتباط مع تطور اللغة المعرفي، إذ يمكن لبعض المواد التلفزيونية أن تعزز التطور الإيجابي للغة في مرحلة ما قبل المدرسة مع مراعاة نوعية البرامج. كما أن اختيار المضمون الجيد والمادة المناسبة للطفل يعزز الثقة بالنفس، واحترام الآخرين من خلال تدعيم تلك القيم في المواد التلفزيونية المقدَّمة، إضافة إلى تنمية مداركه عبر تقديم معلومات عن أجزاء الجسم ووظائف الأعضاء وكيفية العناية بالنظافة والحفاظ على السلامة، وعدم التعرض للأخطار وإعلاء قيم احترام الكبير والعطف على الصغير ومساعدة ودعم الآخرين (نغيمش،2010).

من جانب آخر فإن الإفراط في مشاهدة التلفزيون يؤثر على نمو الأطفال تبعًا لمقدار ساعات التعرض له، إذ يمتد التأثير إلى لغتهم ونموهم المعرفي مما يؤدي إلى مشاكل في السلوك، واضطراب الانتباه، والعدوان والسمنة. فقد وجدت العديدُ من الدراسات أن مشاهدة التلفزيون بإفراط يمكن أن تؤدي إلى الكثير من المشكلات السلوكية

والصحية من أهمها:

اضطراب الانتباه: فتبعًا لدراسات حديثة يوجد ارتباطٌ بين المشاهدة المبكرة للتلفزيون والأعراض اللاحقة لاضطراب الانتباه، إذ إن طولَ الوقت المستغرَق في المشاهدة بدون مراقبة للمحتوى من لدن الوالدين يمكن أن يؤدي إلى الأرق ومشاكل التركيز والاندفاع. فخلال مرحلة سن الثالثة يزيد خطرُ حدوث مشكلة الانتباه لكل ساعة يومية من مشاهدة التلفزيون بنسبة (9%)، إذ يؤثر التعرض المتكرر في تجارب تشكيل الدماغ النامي بسبب مرونة اتصاله العصبي وقد يؤثر أي حافز في بيئة الطفل قسريًّا على النمو العقلي والعاطفي إما عن طريق إعداد خاص لعادات العقل أو حرمان الدماغ من التجارب الأخرى(Jusff، Nadia2009).

يُولِّد إدمانُ التلفزيون التبلدَ الحسيَّ واللامبالاةَ العاطفية، فكثرة مشاهدة أفلام وسلاسل العنف والقتل وتقديمها باعتبارها مبررًا للدفاع عن النفس، تزيد من احتمال ميل الأطفال للسلوك العنيف، وإلى عدم الاكتراث بالآخرين (نغيمش،2010). وتميل كثيرٌ من البرامج التلفزيونية إلى إدراج سلوك العدوان في معظم المشاهد مثل الركل والضرب والقتل، فقد أشارت نتائج الدراسات التي بحثت عن العلاقة بين المشاهدة المفرطة للعنف على شاشة التلفزيون وبين سلوكيات العنف لدى الأطفال، إلى أن هناك زيادة في معدل السلوك العدواني عند الأطفال المفرطين في مشاهدة برامج العنف (Jusff، Nadia2009).

كما ذهب بعض الباحثين إلى التأكيد على أن المشاهدة المكثفة للبرامج غالبًا ما تؤدي إلى تأخر في قدرات الطفل على التصور والتخيل والإبداع، وذلك بسبب العروض الجاهزة المُعدَّة بعناية فائقة من قبل الخبراء. فضلًا عن أن افتقار تلك البرامج للتواصل الحواري عادة ما يؤثر سلبًا على التطور الطبيعي للغة الطفل؛ إذ إن إقباله المكثف على التلفزيون يمكن أن يؤدي حسب الرادحي (2013) إلى:

أولًا: اكتفاء الطفل بالاستماع إلى الكلام مما يقوده إلى عدم استيعابه وفهمه إلا نسبة ضئيلة.

ثانيًا: إن انشغال الطفل عن تشغيل جهازه للنطق والحوار الكلامي والمنطقي أثناء المشاهدة المكثفة، عادة ما يؤدي إلى ضعف في مركزه لاستقبال الكلام، وإلى حدوث تأخر واضطراب في عملية النطق لديه مقارنة بالحد الطبيعي. فقد ثبت أن اللعبَ مع الطفل والتفاعلَ معه والاستماعَ إليه والغناءَ في حضوره، كلها أنشطة وممارسات ذات أهمية كبيرة في تحفيز نموه أكثر من البرامج التلفزيونية.

فالأكيد أيضًا أن إفراط الطفل في مشاهدة التلفزيون يؤثر على مساحة اللعب النشط في الخارج وفي الهواء الطلق مع الأصدقاء، وعلى القيام بالواجبات المنزلية، والتفاعل مع العائلة، ثم ممارَسة الأنشطة الرياضية الجماعية التي تنمي مهارات التفاعل الاجتماعي لديه (Michigan Medicine،2010).

إلى جانب التأثير على النشاطات الأخرى التي تتطلب الحركة والمشاركة الجماعية مع الأطفال، فإن الإفراط في ساعات مشاهدة التلفاز والجلوس بشكل غير سليم قربه يمكنه أن يتسبب في مشكلات مختلفة من قبيل التداعيات السلبية على الصحة البدنية والنفسية وفي مقدمتها الكسل والخمول والأرق وأضرار العين، ثم التسبب في كثرة الإشعاعات وتكوين الصور الذهنية المغايرة للعالم الواقعي، إضافة إلى القضاء على التنوع الثقافي والتأثير على ثقافة الطفل الوطنية والقومية. (نغميش،2010).

وتجدر الإشارة إلى أن قنوات الأطفال أصبحت تشكل السبب الرئيس لزيادة معدل طيف التوحد غير الجيني. فقد اتضح من نتائج دراسة حديثة وُجِّهَتْ فيها بعضُ الأسئلة إلى أهالي أطفال التوحد أن (80%) من الأطفال تعرضوا لإهمال غير مقصود بتركهم أمام قنوات الأطفال لفترات طويلة منذ العام الأول من سنهم، إذ أصبحوا يكتفون باستقبال ما يُعرض على أنظارهم ومسامعهم، مما يُضعف لديهم من جهة ملكات التفكير وحاسة اللمس، ويتسبب من جهة أخرى في تعطل النمو العقلي والنمو اللغوي اللذين يَنتُجان عن التفاعل مع الآخرين دون أن ينتبه الوالدان (Hassan،2013).

في السياق ذاته أشارت الأكاديمية الأمريكية لطب الأطفال إلى أن الأطفال الذين يقضون باستمرار أكثر من 4

ساعات يوميًّا في مشاهدة التلفزيون هم أكثر عرضة لزيادة الوزن، والقيام نتيجة ما يشاهدونه من عنف بسلوكيات عدائية ملحوظة لأنهم يخشون أن يكون العالم مكانًا مخيفًا. فغالبًا ما تعبّر الشخصياتُ في التلفزيون عن سلوكيات محفوفة بالمخاطر، لذا من المهم جدًّا للآباء أن يراقبوا وقتَ الشاشة ويضعوا حدودًا مضبوطة للمشاهدة. وقد أوصت الأكاديمية الأمريكية لطب الأطفال بعدة إرشادات تهمُّ أوقات السماح للأطفال بمشاهدة التلفاز على النحو التالي:

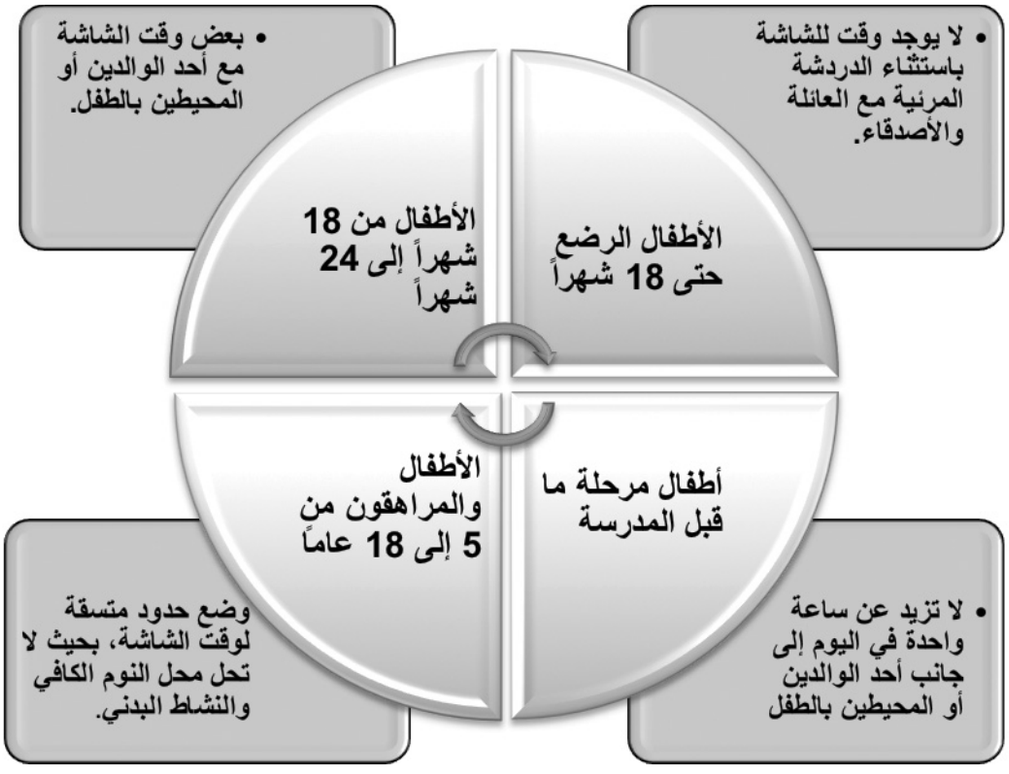

شكل (2) يوضح ضوابط الأكاديمية الأمريكية لطب الأطفال لمشاهدة التلفزيون

أشار (الشريف،2012) إلى أن العديد من الباحثين يتفقون على أن المشاهدة الزائدة للتلفزيون لها تأثيراتها على الطريقة التي تنمو بها عقول الأطفال، ومن بينها الإطالة في الوظائف المهيمنة على الجانب الأيسر لدماغهم. فحينما يُقبل الطفلُ على مشاهدة التلفزيون لأكثر من 20 ساعة في الأسبوع، فالراجح أن ذلك سيثبط نموَّ الوظائف اللفظية والمَنطقية للجانب الأيسر لدماغه، وستتم نتيجة لذلك إعاقة النمط الذي يحتاجه الدماغ لنمو اللغة وطلاقة الإبداع اللفظي وفرص التفاعل واللعب والمحادثات ومهارات حل المشكلات وغيرها من الكفاءات التي لا يمكنه أن ينميها في غياب الاتصال والتواصل مع الآخرين.

وبهذا الخصوص ذهب وين، الصبحي (1999) إلى التأكيد على أن التجربة التلفزيونية لا تختلف عن المخدرات أو الكحول فهي تتيح للمشارك محوَ العالَم الحقيقي والدخولَ في حالة عقلية سارة وسلبية، لتؤجل بذلك الحياة الواقعية عن طريق الاستغراق في برنامج تلفزيوني ومختلف الأنشطة المهمة الأخرى من أجل تمضية ساعات إضافية أمام التلفاز وعدم الرغبة في إغلاقه. كما أن التلفزيون لا يساعد على السلوك الجماعي، بل يعمل على تنمية السلوك الفردي، ويشجع الطفلَ على الانسحاب من عالم الواقع وإدمان مشاهدته (شيكرام، وآخرون،2020). وقد ذكر مدير (مركز هارلم) للأطفال المحرومين من الرعاية في سن ما قبل المدرسة أن الأطفال يصلون إلى المدرسة وهم بُكمٌ عمليًّا، وعاجزون عن التفوه بكلمة واحدة على الرغم من أن الفحوصَ الطبيةَ لا تُظهر وجودَ قصور مرضي سواء كان جسديًّا أو عقليًّا. ويُلاحَظ أنه عادة ما تُشَخَّصُ الحالةُ على أنها عيبٌ في النطق، ولكن في أغلب الأحيان يتضح أنها نتيجة لملازمة التلفاز فقط، وعدم تبادل لغة الحوار والتحدث إليهم إلا نادرًا جدًّا مما أثر على مصادر التنبيه اللفظي

وتنمية المراكز اللفظية في الدماغ، الشيء الذي انعكس بدوره سلبًا على التطور الطبيعي للغة (وين، الصبحي ، 1999).

إن أكثر ما يحتاج إليه الأطفال الصغار للتعلم هو التفاعل مع الأشخاص من حولهم، فهم بحاجة إلى لمس الأشياء وهزها ورميها، والأهم من ذلك كله رؤية الوجوه والاستماع إلى أصوات من يحبونهم أكثر، إضافة إلى أهمية التعلم من التفاعل مع المحيطين من خلال تعابير الوجه ونبرة الصوت ولغة الجسد. إن مجرد تشغيل التلفزيون في الخلفية، حتى لو لم يكن أحد يشاهده، يكفي لتأخير تطور اللغة، فعادة ما ينطق كلٌ من الأم والأب حوالي (940 كلمة في الساعة) عندما يكونان مع الطفل، لكن مع تشغيل التلفزيون ينخفض هذا الرقم إلى (770 كلمة). وكلما قلَّ معدلُ الكلمات قلَّ معدلُ التعلم لدى الطفل (Hill،2016).

وعن أهمية تأثير وسائل الإعلام في الطفل، تؤكد الأبحاثُ العلمية على أن الكتبَ والصحف والمجلات والتلفزيون والإذاعة والسينما وأجهزة الكمبيوتر والإنترنت والهواتف المحمولة، تعمل اليوم كأحد عوامل التنشئة الاجتماعية الأكثر توجيهًا للسلوكيات والمواقف والآراء في العالم. فكثيراً ما يتعامل الآباء والمختصون مع هذه الوسائل بطرق ثنائية، حيث يعدّونها من جهة تؤثر إيجابًا في إثراء حياة الأطفال وتحفيز الخيال والإبداع لديهم، ثم توسيع مداركهم للتعليم والمعرفة. ومن ناحية أخرى هناك قلق كبير يرتبط بقدرة وسائل الإعلام على تخدير الحواس وإعاقة القدرة على التخيل أو اللعب الحر وزيادة شعور اللامبالاة وتشجيع السلوكيات المدمرة وتدهور القيم الأخلاقية وقمع الثقافات المحلية والانزواء الاجتماعي. إلا أنه يمكن القول إن لوسائل الإعلام آثارًا إيجابية وكذلك سلبية على الأطفال وفقًا للمحتوى الذي نضعه فيها، والسياق الخاص بهم والخصائص الفردية للأطفال الذين يستخدمونها، فوسائل الإعلام بحد ذاتها ليست جيدة أو سيئة، فهي عبارة عن تقنيات يمكن استخدامها بطرائق متعددة (يونيسيف التواصل مع الأطفال).

من هنا تخلص الباحثة إلى أن النموَّ السويَّ يتطلب من الطفل تنويعَ أنشطته دون أن يكون أسيرًا لشاشات التلفاز طوال الوقت، فالبرامج التلفزيونية الموجَّهة بعناية وخبرة للطفل يمكن أن تُسهم إيجابًا في تنمية مهارات ومقدرات الطفل المختلفة إذا روعيت الموجهاتُ التي يمثلها الشكلُ التالي من قِبَل أفراد الأسرة:

شكل (3) يوضح موجهات مشاهدة الطفل للقنوات الفضائية

تأكيدًا على هذا الأمر تشير (عبد المجيد، 2018) إلى أن دور الوالدين يكمن في مشاركة الأطفال عند المشاهدة للرد على استفساراتهم وتساؤلاتهم وربطها بالحياة الاجتماعية لديهم، مع تحديد وقت محدَّد للمشاهدة، وتوجيههم لممارسة بعض الأنشطة الأخرى كاللعب والرسم، هذا فضلًا عن ضرورة التداول معهم في أفكار ومعاني

البرامج التي شاهدوها، ومساعدتهم على التفريق بين الواقع والخيال، مع الانتباه للجلسة الصحيحة والحذر من تعريض الأطفال لبرامج العنف والجريمة.

مرحلة ما قبل المدرسة:

إن التنشئة الاجتماعية التي تبدأ منذ ولادة الطفل تكسبه المعايير والاتجاهات والأدوار الاجتماعية والثقافية التي تمكّنه من مسايرة مجتمعه والاندماج فيه، وإن النمو عادة ما يتمظهر في شكل تغيرات وتطورات عبر المراحل العمرية المختلفة. وبهذا الخصوص نجد زهران (1986) يحدد أهمَّ العوامل المؤثرة في نمو الطفل وتكوين شخصية الطفل في عُنصُرَي الوراثة والبيئة اللذين لا يمكن الفصلُ بينهما على المستوى العلمي لكونهما يُسهمان معًا وبشكل تفاعلي في تشكيل شخصية الفرد وسماتها الأساسية.

شكل (4) يوضح العوامل المؤثرة في عملية النمو

ترتبط مظاهر النمو المختلفة وتتطور وتنمو كوحدة متماسكة، ويؤدي حدوث أي اضطراب أو نقص في أي مظهر منها إلى اضطراب في التكوين العام والأداء الوظيفي للشخصية، فقد تؤثر العوامل الانفعالية على سبيل المثال في مظاهر النمو الجسمي والفسيولوجي (زهران،1986). إلى جانب تطويره للنمو الحركي والجسمي والحسي المتمثل في الطول والوزن والحجم والأنسجة والأعضاء والحواس، ينمي الطفل أيضًا مهارات التواصل واللغة؛ بحيث تعدُّ هذه المرحلة في نظر عباس (1997) من أسرع مراحل النمو اللغوي تحصيلًا وتعبيرًا وفهمًا. ففي هذه المرحلة التي تتميز بالدور الحاسم لاكتساب اللغة وتطورها في التعبير عن ذات الطفل وتوافقه الاجتماعي، يتأثر النمو اللغوي للطفل بتنوع التجارب والخبرات وبطبيعة المثيرات الاجتماعية؛ إذ يؤثر الكبار بلهجتهم وطريقة نطقهم ومستواهم الثقافي على النمو اللغوي لهذا الأخير. وفي السياق نفسه تشير طليبة (2018) إلى أن اللغة تمثل الوسيلة الأساسية التي يستخدمها الإنسان للتواصل مع محيطه والتعبير عن أفكاره ومشاعره وحاجياته. فاكتسابها يبدأ منذ الولادة عبر التقاط الطفل للكلمات والجمل التي تستخدمها أسرته فتتشكل بذلك لغته الأم. كما أن استعماله لأساليب لغوية تختلف عن تلك التي تميزت بها لغته الأم يعود لتأثره بتحولات العصر الجديد وارتباطه بالفضائيات الموجهة له وتعلقه ببرامجها. فالتحصيل اللغوي يتم عبر طريقتين كما هو واضح في الشكل التالي:

شكل (5) يوضح طرائق التحصيل اللغوي

ومن جهتها أشارت دارلينغ Darling (2016) إلى أن النمو الاجتماعي والعاطفي يتيح للطفل الفرصة المواتية لفهم العالم الذي يعيش فيه والتوافق معه، وذلك من خلال القدرة على تكوين علاقات وثيقة آمنة بين الكبار والأقران، إلى جانب تنظيم التعبير عن العواطف بطرائق مناسبة اجتماعيًّا وثقافيًّا؛ إذ إن المهارات الاجتماعية تعدُّ أفضل مؤشر للكفاءة الاجتماعية والعاطفية اللاحقة مثل إدارة السلوك وإجراء اتصالات اجتماعية وتحمُّل الإحباط من الأقران. كما أن الطفل الذي يملك قدرًا أكبر من ضبط النفس من المرجح أن يتمتع بصحة نفسية أفضل، وبتطوير علاقات إيجابية مع الأقران، هذا بالإضافة إلى كون انفعالات هذه المرحلة تتسم بالحدة وعدم الثبات، وتمركز التفكير حول الذات. وقد لخّص كلٌّ من كولكي، ليميش(2011)، زهران(1986)، الخيران وعباس(1997)، أهمَّ ملامح النمو في هذه المرحلة في مضامين الجدول التالي:

جدول (1) يوضح ملامح نمو الطفل في مرحلة ما قبل المدرسة

النمو البدني / الفسيولوجي / الحركي: **التعلم من خلال التكرار واللعب، تطوير المهارات الحركية من الزحف إلى المشي والجري واستكشاف البيئة، تطوير المهارات الحركية الدقيقة للأصابع. ويكون نمو العضلات الكبيرة أسرع من الصغيرة، يتم ضبط الإخراج ويتراوح عدد ساعات النوم بين 11–12 ساعة، تقل تدريجيًّا إغفاءات النهار، ينمو الجهاز العصبي في سرعة كبيرة فيزداد وزنُ المخ، حتى يصل في نهاية هذه المرحلة إلى 90% من وزنه الكامل عند الراشد، ويزداد نمو الجهاز الهيكلي.**
النمو الإدراكي / المعرفي: **تكوين الخبرات المبكرة عن المحيط، تنمية الوعي للاختلاف في الجنس أو العِرق، وتشكيل المواقف الاجتماعية الأولى، صعوبة التمييز بين الخيال والواقع وصعوبة فهم العلاقات السببية، التركيز على الجوانب الملموسة للواقع، تكوين المفاهيم مثل الزمان والمكان والعدد، وأيام الأسبوع وعدد الساعات في اليوم، وعلاقات الحجم وأسماء الأشكال الهندسية، استكشاف بعض المفاهيم مثل الصباح وبعد الظهر والليل، وجود عمليات معرفية مثل التذكر والاستدلال والتخيل واللعب الإيهامي وأحلام اليقظة.**

النمو الاجتماعي / العاطفي / الانفعالي:

التعامل مع مشاعر جديدة، تتسم الانفعالات بالحدة فيكون الطفلُ سهلَ الاستثارة وتظهر انفعالات كالخجل والغيرة ومن أهم المظاهر الانفعالية لهذه المرحلة هي ما يعانيه من مخاوف وقلق تتميز بأنها ليست ثابتة، التطور من الاعتمادية التامة على الآخرين إلى الانفصال والاستقلال، تطور الوعي بالمشاعر الذاتية ومشاعر الآخرين، اللعب الجماعي وتعلم حل النزاعات والتعاون، إظهار علامات التعاطف والسلوكيات الاجتماعية والتعاونية، اكتساب عادات وقيم ومعايير واتجاهات تتفق مع الثقافة السائدة والمقبولة من المجتمع، المحاكاة وتحدث بناء على وجود قدرة عند الطفل على تكوين صور ذهنية للأفعال التي يكون قد شاهدها سابقًا، التماهي يعني أن يتقمص الطفلُ شخصيةَ أحد الوالدين أو المقربين في سماته الانفعالية، النمط الاجتماعي الجنسي حيث يتعلم كلٌّ من الجنسين معايير اتجاهات القيم المرتبطة بجنسه.

النمو اللغوي والتواصل:

يستطيع التعرف على وظائف الأشياء، والاختلافات في المعاني، ويسأل ويجيب عن الأسئلة البسيطة، ثم تتطور مهاراته في نهاية هذه المرحلة بالإجابة عن أسئلة أكثر تعقيدًا مكونة من جزأين، يستخدم 4–6 كلمات في الجملة، يعيد 6 – 13 مقطع في الجملة بشكل متقن، يسمي الأشياء بمسمياتها، كما يستخدم الأسماء والأفعال بشكل أكثر طلاقة، يفهم ويستوعب الماضي والمستقبل، لديه حوالي 1200 – 2000 مفردة استقبالية، وحوالي 800 – 2000 مفردة تعبيرية، و2800 مفردة استيعابية، قد يواجه بعض التكرارات والوقفات في الحديث ولكنه يتحسن مع نهاية هذه المرحلة، نسبة وضوح كلامه حوالي 80%، يستطيع سرد حدثين بترتيب صحيح، يمكنه المشاركة في محادثة طويلة، يستخدم المتعاكسات، صيغ المستقبل، الروابط في الجمل، العد حتى 10 بشكل نمطي، يصغي لقصص قصيرة بسيطة ثم طويلة بنهاية المرحلة، يتراجع معدل التكرار في الكلام، يتراجع معدل الحذف والإبدال في الأصوات.

إن توسيع وإثراء دائرة الطفل الاجتماعية وإكسابه مهارات التواصل والاتصال بالبيئة المحيطة توفر له فرص الاندماج مع الأطفال الآخرين والراشدين، فالطفل لا يستطيع تطويرَ أشكال الاتصال المتبادل مع الآخرين، وتنمية الاستقرار العاطفي وما يتبعه من تطور في فهم الآخرين دون وجود قنوات للتواصل تتيح له التفاعلَ الاجتماعي مع المحيط الذي يبدأ بالأسرة الصغيرة ويمتد حتى يشمل المجتمعَ كلَّه كما يتضح من الشكل التالي:

شكل (6) يوضح تطور الدائرة الاجتماعية لطفل ما قبل المدرسة

إن مواقف اللعب هي الميدان الذي يتصل من خلاله الطفل بمن حوله، ويستطيع عبره خلقَ علاقات جديدة مع عناصر البيئة تقوي الثقة بالنفس وتعزز السلوك المؤدي إلى معرفة جديدة. فاللعب عند الطفل هو مسرح التعبير عن خيالاته والتعديل من سلوكه وطريقة تفكيره فعن طريقه ينمو حسيًّا وذهنيًّا واجتماعيًّا، بحيث هو الذي يساعده ذهنيًّا أولًا على إدراك العالم الخارجي وتنمية مهاراته الاستكشافية، وثانيًا على تعلم الحصول على المعلومات والرفع من حصيلته المعرفية واللغوية، ثم يمكنه ثالثًا من التمرين على حل المشكلات وتنمية روح الإبداع والابتكار، وعلى تطوير مهارة الإصغاء والانتباه واكتساب الخبرات في التعامل مع الأقران، والتعرف على العالم المحيط. وبهذا فاللعب جزء أصيل من عملية التعلم واكتساب المهارات العقلية، إذ يؤكد علماء الأعصاب بأن الإنسان يولد ولديه البلايين من الوحدات العصبية التي تحتاج إلى تفعيل من خلال اللعب والتفاعل الإيجابي مع البيئة، وذلك من خلال التعرض لمواقف ونشاطات تعمل على تحفيز التفكير (خالد،2014). كما يعدُّ الغناءُ أولَ شكل من الأنشطة الموسيقية وأكثرها التصاقًا بطبيعة الإنسان وذاتيته، ويستخدم الأطفال أصواتَهم منذ ساعة ولادتهم، حيث يجربون الأصواتَ المختلفة وهم يحاكون صيحات الألم وهمهمات الارتياح، ويلعبون بنبرات الصوت بتحريك لسانهم وشفاههم وحبالهم الصوتية، فالذخيرة الغنائية للطفل يبتدعها أثناء لعبه، ويمكنه أن يعزز عبرها تجاربه وخبراته. فقد ثبت أن تعليم الطفل الخبرات الإيجابية والتوجيهات والاقتراحات يمكن التغني بها بدلًا من إلقائها بصورة جامدة (أبيض،2008).

وتخلص الباحثة إلى أن تنمية مهارات وقدرات الطفل تتطلب تنويعًا في الأنشطة والخبرات دون إفراط أو تفريط، فهي تعمل مجتمعة على وضع بصمتها الواضحة على ملامح شخصية الطفل. فبقدر ما تمثل قنوات الأطفال الفضائية مصدرًا يستقي الطفلُ منه الكثيرَ من التجاربِ والخبرات والسلوكيات الإيجابية، بقدر ما تشكِّل في الجانب الآخر_إذا لم يُتَعامَل معها وفقًا للضوابط المذكورة آنفًا_ مهددًا حقيقيًّا لسواء الطفل واتزانه النفسي، والاجتماعي، والثقافي، والجسمي.

الدراسات السابقة:

تتلخص أهم الدراسات التجريبية والميدانية التي أنجزت حول آثار وتداعيات إدمان الأطفال على مشاهدة ومتابعة برامج ومواد القنوات التلفزيونية الموضوعة خصيصًا للأطفال، وهي التي لها علاقة عضوية بموضوع هذا البحث وإشكاليته المركزية في العيّنة التالية:

دراسة داود، رفسي (2019) التي هدفت إلى معرفة أثر الأفلام الكرتونية في تشكيل سلوكيات الأطفال الجزائريين من منظور الأمهات، استُخدمت العينةُ القصدية، وشملت عينة الدارسة 100 من الأمهات القاطنات بمدينة البويرة، وقد تمثلت أهم نتائج الدراسة في التالي: 48% من الأمهات أوضحن أن أطفالهن يستغرقون بين ساعة – ساعتين في المشاهدة، بينما 25% من الأطفال يقضون بين ثلاث– أربع ساعات يوميًّا في مشاهدة الأفلام الكرتونية. 54% من الأمهات لاحظن أن أطفالهن أحيانًا يتحدثون حول ما يشاهدونه في أفلام الكرتون.53% من الأمهات أوضحن أن الأطفال يشاهدون البرامج الكرتونية بمفردهم، 71% من الأمهات يلاحظن سلوكيات مختلفة جراء مشاهدتهم لأفلام الكرتون. 51% من الأمهات يلاحظن أن الأطفال يقومون أحيانًا بتقليد ما يشاهدونه في البرامج الكرتونية.

دراسة شرف الدين (2018) التي حاولت التعرف على دور برامج الأطفال الفضائية في تأصيل اللغة العربية عند الطفل، اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي، صُمِّمَتْ أداةٌ لقياس نسبة وجود مفردات اللغة العربية مقارنة باللهجة العامية واللغات الأجنبية ببرامج الأطفال الفضائية موضوع الدراسة، توصلت الدراسة إلى أنه يوجد تفاوت في الاهتمام باللغة العربية، حيث مثلت اللغة العربية المبسطة نسبة 65% من مساحة البرامج، ليس هناك وجود للغة العربية المبسطة في برامج الأطفال المنتجة محليًّا إذ إنها تُعرَض باللغة المحلية، مثلت اللغة/ اللغات الأجنبية عبر القصص الكرتونية 10% من مساحة البرامج، أما الأسماء الأجنبية فقد احتلت 47.5% من نسبة العرض.

دراسة عدائكة (2017) التي هدفت إلى التعرف على أثر قناة طيور الجنة على الصحة النفسية للأطفال من وجهة نظر الأخصائيين النفسيين، حيث اتبع الباحث المنهجَ الوصفي، وتكونت عينة الدراسة من 49 من الأخصائيين النفسيين على مستوى ولاية الوادي، وأجريت خمس مقابلات مع الأمهات والآباء ممن أدمن أبناؤهم على مشاهدة قناة طيور الجنة، إلى جانب الملاحظة المباشرة على سلوك الأطفال المدمنين على القناة وهم في فترة المعالجة. أظهرت نتائج الدراسة أن أغلبية الأطفال الذين كانوا طبيعيين في الأشهر الأولى باتوا يعانون من مشكلات على مستوى الاتزان العاطفي، وخلل في الوظائف العقلية، ومشكلات على مستوى التكيف الاجتماعي والتفاعل، أغلبها بسبب عدم التواصل مع الطفل وتركه لساعات طويلة أمام التلفاز.

دراسة أسكاري وآخرون (Asghari and others،2017) التي راهنت على تقييم العلاقة بين استخدام التلفاز ومشاكل السلوك عند الأطفال، شملت الدراسة أطفال ما قبل المدرسة من 4–6 سنوات في طهران الذين اختيروا بأخذ العينات العنقودية، أُخذتْ عينةٌ من 150 طفلًا. تمثلت أدوات الدراسة في استبانة للمشكلات السلوكية، واستبانة من إعداد الباحث حول مدى استخدام الأجهزة الإلكترونية ومشاهدة التلفاز، حُللت البياناتُ باستخدام برنامج الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية. أظهرت النتائج وجودَ علاقة بين استخدام التلفزيون والعزلة والقلق لدى الأطفال من سن 4–6 سنوات، لا توجد علاقة بين امتلاك جهاز كمبيوتر شخصي وبين الوقت الذي يقضيه في مشاهدة التلفزيون، الأطفال الذين ليس لديهم أجهزة كمبيوتر أنفقوا ساعات أكثر في المشاهدة، كما أشارت النتائج إلى أن الأطفال الذين يقضون أكثر من ساعتين في اللعب يقضون وقتًا أقل في مشاهدة التلفاز، مما يشير إلى أن تقليل مشاهدة الأطفال للتلفاز يمكن أن يمنع المشكلات السلوكية.

أما يسعد (2016) فقد عمدت من خلال دراستها إلى معرفة مدى تأثير القناة التلفزيونية الموسيقية بالنسبة للأطفال، أجريت الدراسة على عينة مكونة من 40 أمًّا من العاصمة الجزائر، وأشارت النتائج إلى أن قناة طيور الجنة تأتي في مقدمة القنوات المفضلة، والتي تركت تأثيرًا على الأطفال مثل اكتساب بعض المعارف والقيم، إلا أن التأثير السلبي ظهرَ في محاولة تقليد الأبطال في الأغاني خاصة في شكل اللباس والسلوك والقيم.

دراسة الفهداوي (2013) التي تناولت برامج الأطفال في الفضائيات العربية المتخصصة وإسهامها في تثقيف الطفل السوداني، وهي دراسة تطبيقية لتعرّض الطفل السوداني لقناتي (الجزيرة أطفال) وقناة (MBC3) الفضائية في ولاية الخرطوم للفترة من 2010 – 2013، وتمثلت تساؤلات الدراسة في: إلى أي مدى يمكن اعتبار تأثيرات التلفزيون سلبية أم إيجابية، استخدم الباحثُ المنهجَ الوصفي التحليلي، وحُدِّدَ مجتمعُ الدراسة المؤلفُ من 410 مفردات من طلاب مرحلة الأساس للمدارس الحكومية من كلا الجنسين بالولاية، خلصت الدراسة إلى عدة نتائج تمثلت في: تفوق قناة(MBC3) على قناة الجزيرة من حيث نسبة المشاهدة والتفضيل، والتركيز على البرامج الأجنبية مع عدم وضوح الترجمة في بعض الأحيان في هذه القنوات، كما خلصت الدراسة إلى أن الطفل يشاهد برامج التلفزيون لفترة أكثر من 3ساعات يوميًّا.

دراسة عمر (2012) التي عالجت طبيعة نزوع الأمهات الأردنيات نحو محتوى برامج الأطفال التي تُعرض على القنوات الفضائية العربية، وتكوَّن مجتمعُ الدراسة من جميع الأمهات ضمن حدود العاصمة الأردنية عمان، وتكونت عينة الدراسة من 216 أمًّا في العاصمة عمان، صُمِّمت استبانةٌ للتعرف على طبيعة تلك الاتجاهات نحو محتوى ما يُقدَّم من برامج على القنوات العربية. أظهرت نتائجُ الدراسة أن هناك تقصيرًا كبيرًا من جهة الأمهات في مراقبة الأبناء أثناء مشاهدة التلفاز مما أدى لتأثر الأطفال بشخصيات مقدمي البرامج، لا توجد فروق دالة إحصائيًّا تبعًا للعمر والحالة الاجتماعية، توجد فروق في المستوى التعليمي لصالح جامعي– دكتوراه، الأسر ذات الدخل المرتفع أكثر حرصًا على مراقبة أبنائها من ذات الدخل المنخفض، كما أن الأمهات العاملات لا يجدن الوقتَ لمراقبة أطفالهن.

دراسة فلورانس وجاشورو(Florence W. Gachuru ،2012) التي سعت إلى تحديد آثار البرامج التلفزيونية على أطفال ما قبل المدرسة في منطقة ويستلاند نيروبي، وكانت الأهداف معرفة نوع البرامج التي يشاهدها الأطفال في سن ما قبل المدرسة وتأثيراتها على المجتمع، تحديد المدة التي يقضيها الأطفال في البرامج

التلفزيونية، وتقييم نوع التفاعل الاجتماعي المرتبط بمشاهدة التلفزيون بين رياض الأطفال، استخدمت الدراسةُ المنهجَ الوصفي، واختيرت عينةٌ عشوائية بسيطة شملت 58 من الوالدين،6 معلمين، استخدمت الدراسة المقابلةَ وقائمةَ المراجعة أدوات لجمع البيانات، تمثلت أهم النتائج في: 96.6% من العائلات كان لديها تلفزيون في منازلها، 93.5% يشاهدون التَلفاز، البرامج الأكثر مشاهدة هي كارتون: 86.2%. وإن التلفزيون هو أداة للتغيير بين أطفال قبل المدرسة.

دراسة الهوارنة (2012) التي ركزت على معرفة المتغيرات المرتبطة بتأخر نمو اللغة لدى أطفال الروضة، وتمثلت أدوات الدراسة في بطارية اختبارات القدرات النفسية اللغوية لطفل الروضة على 100 طفل وطفلة في مرحلة الروضة، تمثلت أهم النتائج في التالي: كلما انخفض المستوى الثقافي للأسرة ازداد تأخر نمو لغة الطَفل، كلما ارتفعت المخاوف ازداد تأخر النمو اللغوي، تتميز لغة الطفل المتأخر في نمو اللغة بالإجابات المقتضَبة، وقِصَر الجملة، وقلة عدد المفردات، وعدم وجود الكفاءة التواصلية.

أما دراسة العزيزي (2007) التي هدفت إلى التعرف على مدى تأثر الأطفال بالعنف التلفزيوني، اتبع الباحث المنهجَ الوصفي التحليلي، وتكوَّن مجتمعُ الدراسة من تلاميذ الفصول الدراسية الثلاث الأخيرة في مرحلة الابتدائية (رابع ــ خامس ــ سادس)، اعتمدت الدراسةُ على العينة العشوائية، وشملت عيّنةُ الدراسة 180 طفلًا، 47 معلمًا، وكانت العينة من المعلمين والتلاميذ وأولياء الأمور 407 مفردة، أظهرت النتائج: تأثر 51% من الأطفال عينة الدراسة بالعنف التلفزيوني، وكان معدل المشاهدة 38% يشاهدون ساعة، 28% ساعتين، 18% ثلاث ساعات، 16% يشاهدون أكثر من ثلاث ساعات يوميًّا، أظهرت الدراسة وجودَ علاقة طردية قوية بين عدد ساعات مشاهدة القنوات ونسبة تأثر الأطفال بالعنف، حيث تزداد النسبة كلما زادت ساعات المشاهدة عند الأطفال.

وبعد استقراء الباحثة للدراسات السابقة التي تناولت في مجملها الآثار الناجمة عن إفراط وإدمان الأطفال على مشاهدة البرامج التلفزيونية الموجهة لهم وانعكاساتها على مناحي النمو السوي في (مجتمعات وثقافات مختلفة)، يتضح جليًّا أنه وبرغم تباين الدراسات من حيث الأهداف والمتغيرات والأدوات المستخدَمة، إلا أن نتائجها جميعها قد اتفقت على الآثار السلبية التي يمكن أن تهدد نمو وسلامة الطفل النفسية والبدنية والاجتماعية واللغوية، جراء إفراطه في ساعات المشاهدة دون ترشيد وبخصم على أوجه النشاطات الضرورية الأخرى.

مجتمع وعيّنة الدراسة:

تنقسم رياض الأطفال بمدينة ودمدني إلى ثلاثة أنواع: الرياض الحكومية، والرياض الخاصة، التي تعاني من إكراهات عديدة تتمثل في فقر الموارد، وعدم وجود مقرات ثابتة، وضعف تأهيل الفريق العامل، مما يجعلها في كثير من الأحيان غير قادرة على الاستمرارية. أما النوع الثالث فهي الرياض الخاصة التابعة لمؤسسات تعليمية وهي الأكثر استقرارًا واستقطابًا للأطفال مقارنة بالنوعين الأولين، إذ إن انتماءها لمؤسسات تعليمية كبرى يجعلها الأكثر قدرة على الاستمرارية والمواكبة وتأهيل القائمين عليها. يتمثل مجتمع الدراسة الحالية في النوع الثالث من الرياض بمنطقة مدني شرق (مكان إقامة الباحثة) حيث يشمل روضتي الجيل (257 طفلًا) وروضة القبس (234 طفلًا)، بمجموع (491) طفلًا كعدد إجمالي لمجتمع الدراسة. ونسبة لتزامن الإجراءات الميدانية لهذه الدراسة مع ظروف تفشي وباء كورونا حول العالم، وإغلاق مؤسسات التعليم العام والعالي بما فيها رياض الأطفال بالسودان من فبراير– سبتمبر، قامت الباحثة بتصميم المقياس إلكترونيًّا، وتوزيعه عبر وسائل التواصل الاجتماعي المختلفة لضمان وصوله لأكبر عدد من الأمهات في مؤسسات التعليم ما قبل المدرسي المستهدفة. شاركت 189 من الأمهات في تعبئة مقياس الدراسة إلكترونيًّا، وقد استُبعدَت 13 استمارة لعدم صلاحيتها للتحليل، ليصبح حجم العينة الفعلي 176 من أمهات الأطفال بمرحلة التعليم قبل المدرسي بمدينة ودمدني.

أدوات الدراسة:

بعد اطلاعها على عدد من المقاييس في هذا المجال، استخدمت الباحثة المقياسَ النفسي لإدمان الإنترنت[1]، لمصممه سيد يوسف لجمع بيانات الدراسة. فبعد القيام بطبيعة الحال بإجراء التصويبات التي تتناسب وأهداف هذه الدراسة، عُرِضَتِ النسخةُ المعدلة من المقياس على لجنة تحكيم من المختصين[2] في مجالَي الصحة النفسية وسيكولوجية الطفل. ولضمان التأكد من صلاحية المقياس لتحقيق أهداف الدراسة، تم بعدها حساب معامل الصدق والثبات على النحو التالي:

ثبات المقياس:

جدول (2): معامل ثبات المقياس باستخدام طريقة تحليل التباين (معادلة ألفا كرونباخ)

المقياس	عدد البنود	حجم العينة	معامل ألفا كرونباخ
الإدمان على مشاهدة القنوات الفضائية	15	176	0.81

تشير قيمة معامل ألفا كرونباخ إلى أن المقياس يتمتع بدرجة عالية من الثبات الداخلي تحدد في (0.81).

صدق المقياس:

جدول (3): معامل صدق المقياس باستخراج الجذر التربيعي لمعدل الثبات.

عدد العبارات	معامل الثبات	معامل الصدق
15	0.81	0.90

يشير الجدول أعلاه إلى أن المقياس يتمتع بدرجة عالية من الصدق تحدد في (0.90).

طريقة تصحيح المقياس:

تمت الإجابة على بنود المقياس الذي يتكون من 15 فقرة، وفق ثلاثة خيارات هي: (نعم)، (أحيانًا)، (لا)، وبعدها صُحِّحَ المقياس وحُوِّلَت الإجاباتُ إلى درجات على النحو التالي: درجتان للإجابة (نعم)، ودرجة واحدة للإجابة (أحيانًا)، ثم صفر للإجَابة (لا). وتعدُّ الدرجات المتراوحة ما بين (30 و22) مؤشرًا لمستوى مرتفع من التعوّد أو الإدمان، والدرجات الممتدة من (21 إلى15) مؤشرًا لمستوى متوسط، والدرجات (أقل من 15) مؤشرًا على مستوى منخفض من التعوّد أو الإدمان على مشاهدة التلفاز.

(1) أحمد عبد اللطيف أبو أسعد (2011)، دليل المقاييس والاختبارات النفسية والتربوية، مركز ديبونو للتعليم، الطبعة الثانية، ص 240.

(2) لجنة التحكيم لأداة الدراسة: د. انشراح مصفى أبو بكر، أستاذ علم النفس الصحي المشارك بجامعة الجزيرة/ د. مكي سعيد بابكر أستاذ علم النفس التربوي المشارك بجامعة الجزيرة، د. عادل علي بابكر أستاذ علم النفس الصحي المساعد جامعة الجزيرة/ د. إبراهيم محمد نور الهادي أستاذ علم النفس التربوي المشارك بجامعة ودمدني الأهلية/ د. أنور أحمد محمود أستاذ علم النفس التربوي المساعد بجامعة الجزيرة/ د. حنان فهمي حامد استشاري صحة الطفل النفسية مستشفى الأطفال ودمدني/ د. زكريا آدم، استشاري الصحة النفسية مركز إيواء للاستشارات وتأهيل الأطفال.

عرض ومناقشة نتائج الدراسة:

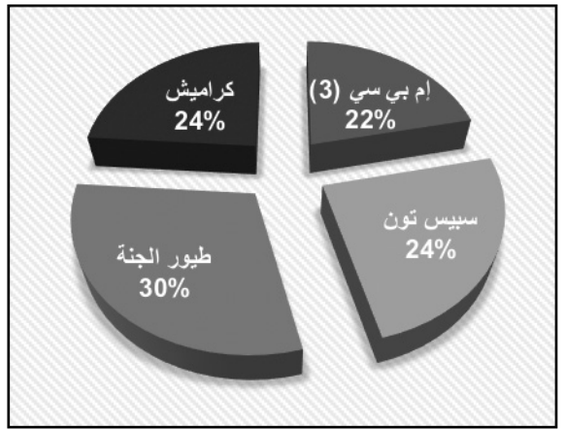

شكل رقم (7): يوضّح توزيع نِسَب مشاهدة الأطفال للقنوات المفضّلة

يتضح من مضامين الشكل السابق وتبعًا للقناة المفضلة، أن قناة طيور الجنة جاءت في صدارة القنوات بنسبة 30% (بداية البث يناير 2008، بالأردن)، تليها قناتَي كراميش (الأردن، بداية البث فبراير 2009) وسسبيس تون (بداية البث في 2002 بدمشق، 2003 في دبي) بنسبة 24% لكل واحدة منهما، و22% لقناة إم بي سي (3) (بدبي، بداية البث ديسمبر 2004).

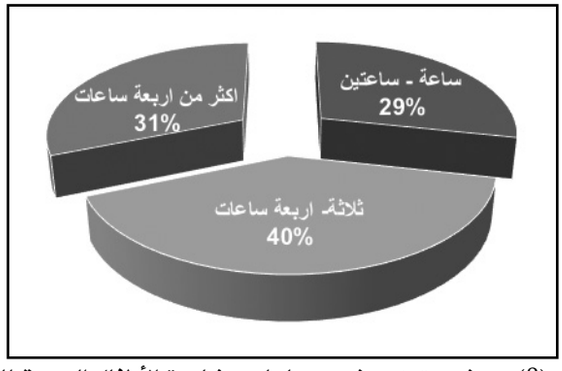

شكل رقم (8): يوضح توزيع نسب ساعات مشاهدة الأطفال اليومية للقنوات

بناء على المعطيات الخاصة بعدد ساعات المشاهدة اليومية المعروضة في هذا الشكل، تُظهر نتائجُ الدراسة أن 40% من الأطفال يقضون ما بين 3 إلى 4 ساعات يوميًّا في مشاهدة قنواتهم المفضلة، و31% يقَضون أكثر من 4 ساعات في المشاهدة اليومية.

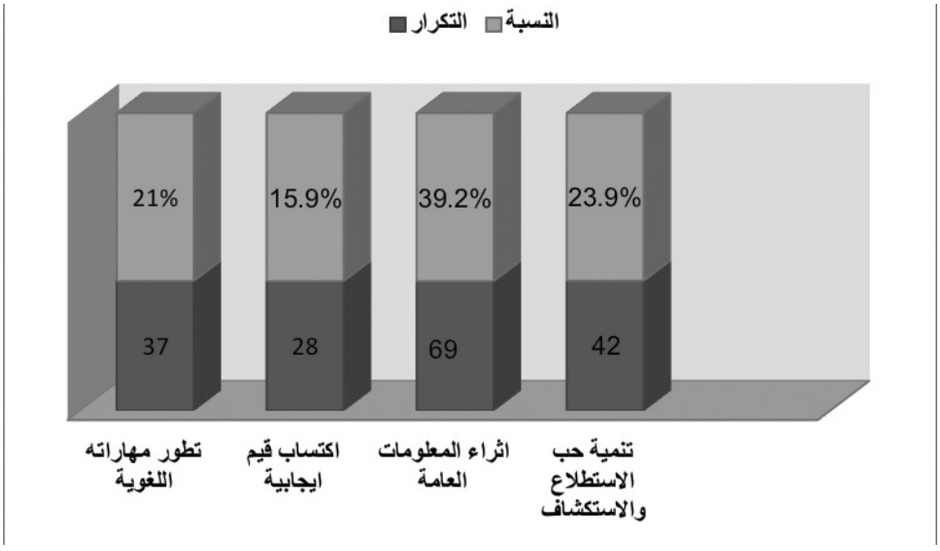

شكل رقم (9): يوضح النسب المئوية لإيجابيات قنوات الأطفال من وجهة نظر الأمهات

تبعًا لمفتاح التصحيح في أعلى الشكل فإن النِسب المئوية (مجموعها 100%)، بينما يمثل الجزء الآخر التكرار (عدد المستجيبات لكل بند) ومجموعها (176).

أما الشكل رقم (9) فيوضح أن 39.2% من الأمهات يعتقدن أن من إيجابيات القنوات الفضائية إثراءَ معلومات الطفل العامة، و23.9% منهن يعتقدن أنها تنمي مهارات حب الاستطلاع والاستكشاف.

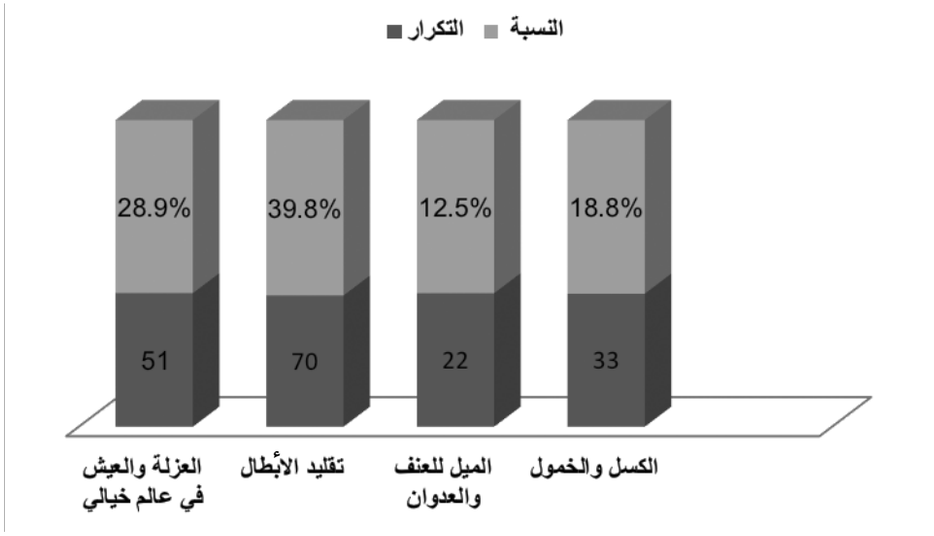

شكل رقم (10): يوضح النسب المئوية لسلبيات قنوات الأطفال من وجهة نظر الأمهات

تبعًا لمفتاح التصحيح في أعلى الشكل فإن النسب المئوية (مجموعها 100%)، بينما الجزء الآخر التكرار (عدد المستجيبات لكل بند) ومجموعها (176).

يتضح من الشكل أعلاه أن أكثر سلبيات قنوات الأطفال تمثلت في الميل لتقليد أبطال البرامج المفضلة في طريقة الكلام والسلوك بنسبة 39.8%، بينما مثّل الميل للعزلة والعيش في عالم الأبطال الخيالي 28.9%.

النتائج المتعلقة بالفرض الأول الذي ينص على «يتميز مستوى إدمان أطفال ما قبل المدرسة على مشاهدة قنوات الأطفال الفضائية من وجهة نظر الأمهات بالارتفاع الدال». وللتحقق من هذا الفرض استُخدِمَتِ النِسبُ المئوية.

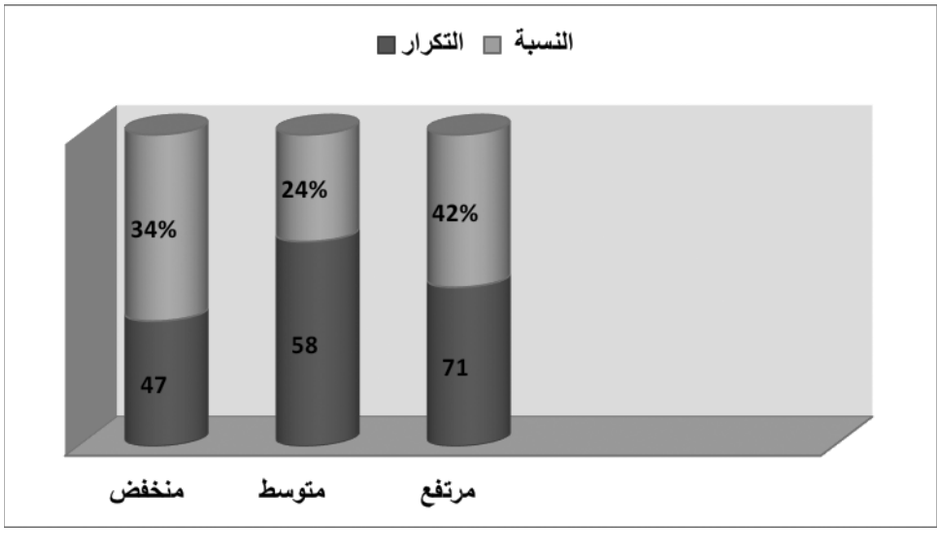

شكل رقم (11): يوضح مستوى إدمان مشاهدة القنوات الفضائية لدى أطفال مرحلة ما قبل المدرسة

يشير مفتاح التصحيح في أعلى الشكل إلى أن النسب المئوية (مجموعها 100%)، بينما يمثل الجزء الآخر التكرارات ومجموعها (176).

يتضح من شكل رقم (11) أن مستوى الإدمان المرتفع لمشاهدة قنوات الأطفال الفضائية بلغ 42% من أفراد العينة، بينما بلغت نسبة الإدمان المتوسط 24% مقابل 34% للمستوى المنخفض. وهذه نتيجة تتفق أولًا مع دراسة الفهداوي (2013) التي جاء فيها أن طلاب مرحلة الأساس للمدارس الحكومية من كلا الجنسين بولاية الخرطوم يشاهدون برامج التلفزيون لفترة أكثر من 3 ساعات يوميًّا. وثانيًا مع دراسة العزيزي (2007) التي أظهرت وجودَ علاقة طردية قوية بين عدد ساعات مشاهدة القنوات بين تلاميذ الفصول الدراسية الثلاثة الأخيرة في مرحلة الابتدائية (رابع، خامس، سادس) ونسبة تأثر الأطفال بالعنف، حيث تزداد النسبة كلما زادت ساعات المشاهدة عند الأطفال. وثالثًا مع دراسة داود، رفسي (2019) التي جاء ضمن نتائجها أن 25% من الأطفال يقضون بين 3 إلى 4 ساعات يوميًّا في مشاهدة الأفلام الكرتونية.

وترى الباحثة أن غياب الرقابة الوالدية يشكل الكثيرَ من المخاطر الصحية والنفسية والاجتماعية على نمو الطفل السوي واتزانه، فبالرغم من توصيات (الأكاديمية الأمريكية لطب الأطفال) التي نصحت بألا يزيد عدد ساعات المشاهدة لأطفال مرحلة ما قبل المدرسة عن ساعة واحدة في اليوم بحضور أحد الوالدين أو المحيطين بالطفل، إلا أن أكثر من 50% من عينة الدراسة يتراوح مستوى المشاهدة للقنوات الفضائية العربية وسطهم ما بين مرتفع ومتوسط الارتفاع، مما يشير إلى أن الطفل يقضي جُلَّ يومه أسيرًا لشاشة التلفاز، دون تدخل من الأهل لتحديد وقت للمشاهدة. وهذا وضعٌ تعتقد الباحثة أنه قد استفحل وتفاقم بفعل إجراءات الحجْر المنزلي في ظل جائحة كورونا، حيث انقطع الأطفال عن الذهاب للروضة التي يقضون فيها معظمَ وقتهم في نشاطات متنوعة، إضافة لغياب البدائل التي تناسبهم وتعمل على تطوير مهاراتهم وإثراء خبراتهم. ومثلما سبق التنصيص عليه في الخلفية النظرية لهذه الدراسة فإن النمو السوي المتوازن يتطلب من الطفل أن يمارس أنشطة متعددة، حيث لا غنى لديه عن اللعب في الهواء الطلق، واكتساب مهارات التفاعل والاندماج في الأنشطة والألعاب الجماعية، وألعاب الاستكشاف والبحث والتقصي وتنمية مهاراته الحركية واتساق نمو عضلاته الصغيرة والكبيرة عبر تنوع الخبرات. مع تخصيص وقت للمشاهدة يراعى فيه الاعتدال، إذ إن الإفراط في مشاهدة القنوات الفضائية يلقي بظلاله السلبية على تطور ونمو الطفل تبعًا لمقدار ساعات التعرض لبرامج الفضائيات. فقد أشارت العديد من الدراسات إلى أن مشاهدة التلفزيون

بإفراط يمكن أن تؤدي إلى الكثير من المشاكل السلوكية مثل فرط الحركة وقلة الانتباه، حالات التوحد غير الجيني، والعنف والعدوان، كما يمتد التأثير إلى التطور الطبيعي للنمو المعرفي والاجتماعي واللغوي. ويعدُّ وجود الأم أو أحد أفراد الأسرة مع الطفل أثناء وقت المشاهدة المحدَّد من قبل، من أهم الموجهات التي من شأنها أن توفر له مشاهدة آمنة تحت مظلة دفء جو الأسرة ورعايتها. كما تتيح له الفرصة لتوجيه استفساراته وتساؤلاته وتلقّي الإجابات عنها، إضافة إلى الحرص على منحه عددًا من الخيارات التي يمكن اللجوء إليها مثل القصص المصورة وألعاب الفك والتركيب والأنشطة الحرة التي تتناسب مع مرحلته العمرية ومشاركته أنشطته المحببة، وتشجيعه على تنمية مهاراته واستكشاف قدراته في المجالات المختلفة.

النتائج المتعلقة بالفرض الثاني الذي ينص على «وجود علاقة دالة بين مستوى الإدمان والميل لتقليد لغة وسلوك أبطال البرامج المفضلة»، وللتحقق من هذا الفرض استُخدِم اختبارُ(ت).

جدول (4) يوضح العلاقة ذات الدلالة الإحصائية بين مستوى الإدمان والميل لتقليد لغة وسلوك الأبطال.

المتغير	ن	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة (ت)	درجة الحرية	الدلالة
نعم	101	19.5146	6.99701	0.3990	175	0.030
لا	75	19.1250	5.92864			

تشير قيم الجدول رقم (4) إلى وجود علاقة دالة بين مستوى الإدمان والميل لتقليد لغة أبطال البرامج المفضلة، بمستوى دلالة إحصائية مؤكدة (0.030)، لصالح فئة الأطفال التي تميل لتقليد لغة وسلوك أبطال برامجهم المفضلة. وتتفق هذه النتيجة مع دراسة عمر (2012) التي انتهت إلى أن هناك تقصيرًا كبيرًا من جهة الأمهات في مراقبة الأبناء أثناء مشاهدة التلفاز، مما أدى إلى تأثر هؤلاء بشخصيات مقدّمي البرامج. والأمر نفسه يصدق على دراسة يسعد (2016) التي أشارت إلى أن التأثير السلبي للقنوات التلفزيونية الموسيقية بالنسبة للأطفال تَمثَّل في ظهور محاولة تقليد الأبطال في الأغاني خاصة في شكل اللباس والسلوك والقيم. كما أبانت دراسة شرف الدين (2018) أن اللغة العربية المبسّطة مثّلت نسبة 65% من مساحة البرامج، رغم أنه لا وجود للغة العربية المبسّطة في برامج الأطفال المنتَجة محليًّا، إذ إنها تُعرَض باللغة المحلية. وقد مثلت اللغات الأجنبية عبر القصص الكرتونية 10% من مساحة البرامج، أما الأسماء الأجنبية فقد احتلت 47.5% من نسبة العرض. ومن جهتها انتهت دراسة داود رفسي (2019) إلى أن 71% من الأمهات أجبن بأنهن لاحظن سلوكيات مختلفة على أطفالهن جراء مشاهدتهم لأفلام الكرتون، و51% منهن لاحظن أن الأطفال يقومون أحيانًا بتقليد ما يشاهدونه في البرامج الكرتونية.

وبهذا الخصوص تشير الباحثة إلى أن الطفل يكتسب في هذه المرحلة معظمَ أنماطه السلوكية عن طريق التقليد والمحاكاة، خصوصًا ممن يعدّهم قدوةً ونموذجًا، فيبدأ في تقليد أحد الوالدين أو كليهما، ثم ينتقل بعدها للنماذج المؤثرة في حياته اليومية، إذ إن التعلم بالتقليد الإيجابي عادة ما يُكسبه الكثيرَ من الخبرات السلوكية وأنماط التواصل اللغوي والاجتماعي. إلا أن افتقاد كثير من الأسر في المجتمع السوداني للتفاعل الفعال بين أفرادها، واكتفاء الكثير من الأمهات دون وعي منهن بتواجدهن المادي دون المعنوي في حياة الطفل، إضافة للمفاهيم الخاطئة السائدة في المجتمع من قبيل أن ترك الطفل يشاهد برامجَه المحببة في الأوقات التي يختارها هي في صالح نموه السوي في ظل محدودية برامج القنوات السودانية الموجهة للأطفال وموادها ومستوى عرضها وتقديمها ثم درجة جذبها لانتباه الأطفال ومخاطبتهم. فكل ذلك يجعل أنماط التعلم بالتقليد السلبي هي السائدة، إذ يظل الطفل مشدودًا يقضي جلَّ يومه متنقلًا بين برامجه المفضلة، فيبدأ في التعلق بالأبطال وسلوكهم، ومحاولة تقليد سلوكياتهم المختلفة، بل قد يصل الأمر لدرجة التقمص الكامل لشخصية البطل المحببة، وعدم إدراك المخاطر المترتبة على محاكاته لسلوك أبطاله، وسط استحسان أو لامبالاة الأسرة، إلى أن يصبح أسيرَ هذا التقمص، فيبدأ في التحدث بلغة لا تتسق مع الموروث اللغوي والثقافي للمجتمع السوداني، الأمر الذي يهدد هويته الثقافية وانتماءه القومي. فالطفل في تطوير

مهاراته اللغوية يحتاج إلى دعم وتوجيه الأسرة، حرصًا على تفادي اكتسابه بعض الاستعمالات اللغوية المغلوطة عبر التقليد الأعمى للغات ولهجات الأبطال الافتراضيين في البرامج التلفزيونية، والتي قد لا تشبه في كثير من الأحيان لغته وثقافته. فالراجح أن معظم هذه البرامج يحتوي على مواد أُعدت لبيئات وثقافات مختلفة مما يشوه هوية الطفل اللغوية منذ وقت مبكر. فالنمو اللغوي السليم يتطلب تنمية اللغة التعبيرية والاستقبالية معًا، إلا أن الانغماس في مشاهدة القنوات لأوقات طويلة يعمل على تطوير اللغة الاستقبالية فقط ويهمل اللغة التعبيرية تمامًا. فقد أشارت طليبة (2018) بهذا الخصوص إلى أن اللغة هي الوسيلة الأساسية للتعبير عن الأفكار والمشاعر، ويكتسبها الطفل بالتقاطه للكلمات والجُمل التي تستخدمها أسرته فتتشكل بذلك لغته الأم، وإن استعمال الطفل لأساليب لغوية تختلف عن تلك التي تشبَّعَ بها في لغته الأم، يعود لانعكاس سمات العصر عليه وتأثره بالفضائيات الموجهة له وتعلقه ببرامجها. وفي السياق نفس تؤكد الهوارنة (2012) على أن الطفل المتأخر في اكتساب اللغة يتسم بالإجابات المقتضَبة، وقِصَر الجمل، وقلة عدد المفردات، والافتقار إلى الكفاءة التواصلية.

النتائج المتعلقة بالفرض الثالث الذي ينص على «وجود علاقة دالة بين مستوى الإدمان والميل للعزلة والعيش في عالم الخيال». وقد استُخدِم اختبارُ (ت) للتحقق من هذا الفرض.

جدول (5) الدلالة الإحصائية للعلاقة بين مستوى الإدمان وميل الطفل للعزلة والعيش في عالم الخيال.

المتغير	ن	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة (ت)	درجة الحرية	الدلالة
يميل للعزلة والعيش في عالم خيالي	105	19.280	06.768	0.4980	175	0.040
يتفاعل الطفل مع المحيط	71	19.240	06.233			

تشير قيم الجدول رقم (5) إلى وجود علاقة دالة بين مستوى الإدمان وميل الطفل للعزلة والعيش في عالم الخيال بمستوى دلالة إحصائية مؤكَّدة (0.040)، لصالح فئة الأطفال الذين يميلون للعزلة والعيش في عالم الخيال. وتتفق هذه النتيجة مع دراسة عبد الله عدائكة (2017) التي تشير نتائجُها إلى أن الأطفال الذين كانوا طبيعيين في الأشهر الأولى باتوا يعانون من مشكلات على مستوى الاتزان العاطفي، وخلل في الوظائف العقلية، ومشكلات على مستوى التكيف الاجتماعي والتفاعل، أغلبها بسبب عدم التواصل معهم وتركهم لساعات طويلة أمام التلفاز. أما دراسة أزكاري وآخرون (Asghari and others،2017)، فقد أظهرت نتائجُها وجودَ علاقة بين استخدام التلفزيون وبين عزلة وقلق الأطفال المتراوحة أعمارهم بين 4 و6 سنوات.

وتشير الباحثة إلى أنه وعلى الرغم من مزايا التعرف على الحضارات والثقافات والأماكن، وتعزيز واكتساب الكثير من الأنماط السلوكية الإيجابية من خلال المشاهدة ضمن توجيهات الأسرة، إلى جانب اختيار البرامج التي تحمل مواد ورسائل إيجابية للطفل، وتحديد أوقات المشاهدة التي تتناسب مع أوقات نومه. إلا أن الإفراط في زمن المشاهدة، وفي ظل عدم مسؤولية وإهمال الكثير من الأسر، وتدني مستوى الوعي الأسري والمجتمعي بمخاطر الإدمان على مشاهدة قنوات الأطفال الفضائية، ثم غياب الدور الرسمي للارتقاء بقنوات الأطفال المحلية التي تُعنى بتوجيه الرسائل الإرشادية في قالب يناسب فكر الطفل عن تعدد الثقافات واللغات والتقاليد في المجتمعات المختلفة، والتركيز على أساليب التواصل الفعالة، وأهمية التمسك بالهوية الثقافية للمجتمع السوداني، كل ذلك له مهدداته الواضحة على نمو الطفل المتوازن. وهو ما ذهب نغميش (2010) إلى التأكيد عليه من خلال التنصيص على أن التلفاز يرسم صورة غير حقيقية عن العالم في أذهان الأطفال تؤدي بهم إلى تكوين تمثلات ذهنية مغايرة للعالم الواقعي، إضافة إلى أثره في القضاء على التنوع الثقافي والتأثير على ثقافتهم الوطنية والقومية المرتبطة بقيم مجتمعهم.

فمعظم البرامج والمواد في القنوات الفضائية تحوي في خطاطاتها البرامجية الكثيرَ من الرسائل والموضوعات التي لا تتسق مع واقع وتقاليد وثقافة المجتمع العربي والإسلامي. فالأكيد أن انغماس الطفل وتركه أسيرًا لشاشات

القنوات الخارجية دون توجيه أو مراقبة أسرية، سيعطل حتمًا قدراته المختلفة، ويبعده عن واقعه المعيش، فيبدأ في الاستغراق في عالم الخيال المغري والجذاب. فعلى أساس أن الطفل في هذه المرحلة لا يمكنه التمييز بين الواقع والخيال، فالأكيد أن اندماجه في عالم أبطاله المحببين، وانفصاله التدريجي عن الواقع الفعلي كلها ممارسات تتكاثر وتتزايد. فهو يصمت ولا يستجيب عند مناداته، ويقل تواصله البصري واللفظي مع أفراد أسرته، إذ يقضي كل وقته منفردًا بعيدًا هائمًا في عالمه الخاص، مما يتسبب له بخلل في النمو الاجتماعي، والنفسي، والعاطفي، والسلوكي. وهذه مسألة يؤكد عليها شيكرام وآخرون (2020) من خلال الإشارة إلى أن التلفزيون لا يساعد على السلوك الجماعي، بل يعمل على تنمية السلوك الفردي، ويشجع الطفل على الانسحاب من عالم الواقع وإدمان مشاهدته.

توصيات الدراسة:

خرجت الباحثة بجملة توصيات للجهات ذات الصلة كما يوضحها الشكل التالي:

للأمهات وأفراد الأسرة	• تحديد ساعات مشاهدة الطفل للبرامج التي تتناسب مع عمره واحتياجاته بحضور الوالدين مع ضرورة تحديد وقت النوم اليومي للطفل. • الاهتمام بتشجيع الأطفال على ممارسة أنشطة ترفيهية وتنمية المهارات والهوايات المختلفة.
للقائمين على مؤسسات الدولة والهيئات الثقافية والإعلامية	• الاهتمام بإنتاج البرامج التي تعمل على جذب انتباه الطفل التي تتسق مع القيم والعادات والثقافة المجتمعية. • تشجيع الاستثمارات المحلية لإنتاج البرامج التي تسهم بالحفاظ على هوية الطفل الثقافية والعربية. • تضمين تأثير الإدمان التلفزيوني على التطور الطبيعي للأطفال ضمن المقررات الدراسية بمختلف المراحل.
لمؤسسات التعليم قبل المدرسي ومراكز رعاية وصحة الطفل النفسية	• الاهتمام بإقامة المحاضرات التثقيفية التي تعنى برفع وعي الأمهات بالآثار الإيجابية والسلبية لقنوات الأطفال. • رفع وعي الأطفال بأهمية التمسك بالهوية واللغة والقيم والتقاليد تحت مظلة المجتمع الثقافية.

المراجع

أولاً : المراجع العربية:

أبيض، ملكة (2008). الطفولة المبكرة والجديد في رياض الأطفال. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

العزيزي، ودي محمد (2007). تأثر الأطفال اليمنيين بالعنف التلفزيوني: دراسة ميدانية. كتاب المؤتمر العلمي الثالث عشر– كلية الإعلام جامعة القاهرة.

الفهداوي، عبد الرحمن عودة خليفة (2013). برامج الأطفال في الفضائيات العربية المتخصصة وإسهامها في تثقيف الطفل السوداني. رسالة دكتوراه في علوم الاتصال، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، الخرطوم.

الهوارنة، معمر نواف (2012). دراسة بعض المتغيرات المرتبطة في تأخر نمو اللغة لدى طفل الروضة: دراسة حالة. مجلة جامعة دمشق – المجلد –28 العدد الثالث– ص 71 – 111.

بني خالد، محمد (2014). فاعلية توظيف اللعب التعاوني في تنمية مهارات التفكير الأساسية لدى تلاميذ رياض الاطفال. مجلة الدراسات التربوية والنفسية – جامعة السلطان قابوس، مجلد (8) عدد (3)، ص 407 – 418.

دراحي، السعيد (2013). التلفزيون والأطفال. الإيجابيات المأمولة والانعكاسات السلبية المحذورة، مجلة التواصل في العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد (36)، ص 7 – 26.

حاج موسى، إخلاص محمد عبد الرحمن (2014). اضطرابات الأطفال والمراهقين النفسية والسلوكية والنمائية. دار جامعة الجزيرة للطباعة والنشر، السودان.

جرار، نسرين صالح محمد (2016). دراسة مدى مراعاة الإستراتيجية الوطنية لتطوير الطفولة المبكرة. ومشروع الصف التمهيدي الحكومي للنوع الاجتماعي، في الضفة الغربية، دراسة لنيل درجة الماجستير – جامعة النجاح الوطنية بنابلس، فلسطين.

داود، هاجر– رفسي، عائشة (2019). أثر الأفلام الكرتونية في تشكيل سلوكيات الأطفال الجزائريين من منظور الأمهات. دراسة ميدانية على عينة من الأمهات القاطنات بمدينة البويرة، دراسة لنيل شهادة الماستر. جامعة أكلي محند أولحاج _البويرة، الجزائر.

زهران، حامد عبد السلام (1986). علم نفس النمو: الطفولة والمراهقة، دار المعارف.

شرف الدين، عزة محمد رزق (2018). برامج الأطفال الفضائية ودورها في تأصيل اللغة العربية لدى طفل ما قبل المدرسة. دراسة تحليلية، مجلة الطفولة العربية، العدد الثامن والسبعون، ص 53 – 80.

شيكرام، ويلبور_ ليل، جاك_ باركر، أدوين (2020). التلفزيون وأثره في حياة أطفالنا، فوائد ومخاطر. ترجمة زكريا حسن، وكالة الصحافة العربية للنشر.

طليبة، سلوى تواتي (2018). أثر الفضائيات العربية الموجهة للأطفال في التحصيل اللغوي لطفل ما قبل المدرسة. رسالة دكتوراه في الأدب العربي، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر.

عباس، فيصل (1997). علم نفس الطفل، النمو النفسي والانفعالي للطفل. بيروت: دار الفكر العربي.

عبد المجيد، أسماء خليل (2018). الآثار السلبية لمشاهدة الطفل الفلسطيني لأفلام التحريك في القنوات الفضائية:

من وجهة نظر أولياء الأمور. رسالة ماجستير قسم التصميم الجرافيكي- جامعة الشرق الأوسط.

عدائكة، عبد الله (2017). أثر قناة طيور الجنة على الصحة النفسية للأطفال من وجهة نظر الأخصائيين النفسانيين- دراسة ميدانية للحصول على درجة الماجستير بولاية الوادي، جامعة الشهيد حمة لخضر- الوادي.

عطوان، فارس (2011). الفضائيات العربية ودورها الإعلامي. عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع.

عمر، فاتن سلامة عبد الرحيم (2012). اتجاهات الأمهات الأردنيات نحو برامج الأطفال التلفزيونية في الفضائيات العربية. دراسة ماجستير في الإعلام- جامعة الشرق الأوسط.

كولكي، باربرا _ ليميش، دافنا (2011). التواصل مع الأطفال: مبادئ وممارسات للرعاية والتحفيز والتثقيف والتعافي، يونيسيف: منظمة الأمم المتحدة للطفولة.

مالك، شعباني (2012). دور التلفزيون في التنشئة الاجتماعية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد السابع، ص213 – 228.

محمد، جميل خليل (2014). الإعلام والطفل، دار المعتز للنشر والتوزيع.

محمد، زكريا عبد العزيز (2002). التلفزيون والقيم الاجتماعية للشباب والمراهقين. الإسكندرية: مركز الإسكندرية للكتاب.

محمود، خالد صلاح حنفي (2016). تطور تربية طفل ما قبل المدرسة بين الماضي والحاضر. الإسكندرية: العبادي للطباعة والنشر.

نغميش، هاشم أحمد (2010). المواد التلفزيونية في قناة إم بي سي 3 الفضائية للأطفال: بحث عن واقع المواد التلفزيونية المعروضة في القناة لمدة أسبوع، مجلة الباحث الإعلامي، العدد 9–10، ص177–200.

وين، ماري_ الصبحي، عبد الفتاح (1999). الأطفال والإدمان التلفزيوني، عالم المعرفة للنشر.

يسعد، زاهية (2016). أثر قنوات الأغاني على معارف وسلوكيات أطفال ما قبل المدرسة. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد (27)، ص 63–79.

www.unicef.org الأطفال والإعلام، التواصل مع الأطفال، بدون تاريخ.

www.unicef.org التعليم المبكر، يونيسيف، بدون تاريخ.

books.com الشريف، عبد العزيز خالد (2012). الإعلام والتربية.

ثانيا : المراجع الأجنبية:

-Asghari, Mansooreh- Karimzadeh, Mansoureh and Teyour, Robab. (2017). Relationship Between Using Television and Behavioral Problems of Pre- school children, Iranian Rehabilitation Journal, December 2017,Volume15,Number 4,P.325 -332

-Cognitive Development In Preschool Children, American Academy of Pediatrics, healthy children.org

-Jusff , Kamaruzaman – sahimi, Nurul Nadia. (2009). International Education Studies, Television and media Literacy in young children: Issue and effects in early childhood ,vol.2,No.3,August,2009,p 151-157.

-Gachuru , Florence W .(2012).Effects of Television programming on preschool children's social development in West lands DistrictmNairobi, A research project of the requirements for the degree of Master of education in early childhood education, Department of educational communication and Technology, university of Nairobi.
-How Media use Affects your Child. Kidshealth.org
-Your Child development& Behavior Resources,Televisoin and children.(2010). University of Michigan ,Michigan Medicine,www.med.umich.edu
-Hill, David.(2016). Why to Avoid TV for Infants & Toddlers, American Academy of Pediatrics, healthy children.org
-Darling, Kristen E.(2016). Early Childhood social and emotional development: Advancing the field of measurement ,Journal of Applied Developmental Psychology, Volume 45, July- August P 1-7.
-Hassan, Mohammad.(2013). Qatar Foundation Annual Research Forum Proceedings , issue (1), Hamad bin Khalifa University.